المقتطف

الجزء الاول من المجلد الثامن والثلاثين

١ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩١١ — الموافق ٣٠ ذي الحجة سنة ١٣٢٨

مقياس العقول

ما من احد يتعذَّر عليهِ ان يرى الفرق الشاسع بين رجل حكيم حصيف الرأي حسن النظر في العواقب وبين بليد ابله لا يعي شيئاً او غر احمق يتقلَّب مع الاهواء كما لا يتعذَّر على احد ان يحكم بان الحجر الكبير اثقل من الصغير اذا كانا من نوع واحد . ولكن النسبة الحقيقية بين الحجرين لا تعلَم الاَّ بالقياس او بالميزان وكذلك النسبة بين العقول لا تعلم تماماً الاَّ اذا وُجد لها مقياس . وكل معارف الناس لا تبلغ مبلغ العلم الحقيقي ما لم تقس بمقياس حتى تظهر النسبة بينها . والقياس اساس كل العلوم الطبيعية والكيماوية . واذا اريد ان يحصل ما يعرف من امور الانسان عملاً حقيقياً فلا بدَّ من استعمال القياس فيها . ولا يخفى ان امور الانسان الجسدية تقاس بسهولة فيقاس طولهُ وثقلهُ وقوة عضلاتهِ واتساع صدرهِ وطول شعرهِ ولون بشرتهِ ودقة سمعهِ وحدة بصرهِ ونحو ذلك مما يقع تحت القياس . وقد حاول بعض العلماء استنباط وسيلة او مقياس لقياس قواهُ العقلية ايضاً فاذا نجحوا في ذلك افادوا نوع الانسان فائدة لا تقدَّر فيبطل تعليم مَن عقلهُ لا يقبل العلم او لا ينتفع بهِ واستخدام مَن لا يصلح للخدمة التي يدعى اليها سواء كانت سياسة مملكة او قيادة جيش او ادارة معمل او نحو ذلك من الاعمال الكبيرة او الصغيرة . ونحن نعتمد الآن على الاختبار في اختيار الاكفاء لهذه الاعمال لكن الاختبار ليس مقياساً دقيقاً بل هو بمثابة الحكم على ثقل الحجر من مجرَّد النظر اليهِ او من روزهِ باليد فانهُ لا يقوم مقام وزنهِ بالميزان وكذلك الاختبار لا يقوم مقام المقياس اذا وُجد

وقد استنبط بعضهم آلة لقياس العقل مبنيَّة على قياس مدة بقاء التأثيرات العصبية في

النفس بعد زوال مؤثراتها . وفي هذه الآلة نور ملوّن يظهر امام العين ثم يختفي على التوالي بسرعة يمكن التحكّم فيها فيظهر ويختفي مرةً في اللحظة او مرتين او ثلاثاً او اكثر وتُعدّ مرات ظهوره في وقت معلوم بالضبط التام

ومعلوم ان اثر الرؤية لا يزول من العين حالاً زوال المرئي بل يبقى فيها مدةً تختلف باختلاف الرائين فاذا ثبتت الصورة الاولى في مركز الشعور بالمرئي الى ان اتت الصورة الثانية وثبتت هذه الى ان اتت الصورة الثالثة وعلمْ جرًّا ظهر ان الصورة مستمرّة امام العين . وعلى هذا المبدإ تدار جمرة امام العين بسرعة فتظهر دائرة من نور مع انها لا تكون في اللحظة الواحدة الاّ في نقطة واحدة ولكن آثار الرؤية تبقى في مركز البصر وتجتمع فيها حتى تتكوّن منها دائرة كاملة . وعلى هذا المبدإ ترى الصور بالسينماتغراف كانها تتحرّك حركات متصلة مع انها صور منفصلة ولكن اثر الصورة الاولى يبقى في مركز البصر الى ان تمر الصورة الثانية والثالثة فتظهر الآثار متصلة بعضها ببعض

قلنا ان مرات ظهور النور في الآلة المشار اليها آنفاً يمكن التحكّم فيها وعدها بالضبط التام في وقت معلوم فاذا جعلنا سرعة ظهوره كافية لان تبقى صورهُ في عين زيد متصلة بعضها ببعض ثم انقصنا السرعة عن ذلك لم تعد صورهُ تظهر لزيد متصلة . والسرعة التي تظهر فيها الصورة لزيد متصلة قد لا تكفي لجعلها متصلة في عين عمرو فنحكم حينئذٍ ان مدة بقاء الاثر في عين زيد اطول من مدة بقاء الاثر في عين عمرو وعليهِ فهذه الآلة تصلح لان تكون مقياساً لمدة بقاء التأثير المرئي في العين او في الدماغ اي في مركز البصر

ويذهب علماء الفلسفة العقلية الى ان العقول تتفاوت ذكاء ومضاء حسب مقدرتها على حفظ التأثيرات فيها فاذا كان الامر كذلك فتكون هذه الآلة مقياساً لمضاء العقول وذكائها وبيان ذلك نقول : —

اذا مرَّ فعل عصبي في عصب من الاعصاب او في مادة عصبيَّة وجد في سبيلهِ شيئاً من المقاومة . واذا تلاهُ فعل آخر فالمقاومة التي وجدها الفعل الاول لا يجدها الفعل الثاني او يجدها اضعف مما وجدها الفعل الاول لان الفعل الاول يكون قد مهَّد السبيل لهُ . وقد شبَّه ذلك احد العلماء بالمشط الذي يمرُّ في الشعر الاشعث فان مقاومة الشعر لمروره فيهِ تقلُّ بالمشط رويداً رويداً الى ان يصير متوازياً بعضهُ لبعض فيصير المشط يجري فيهِ بسهولة

وهذا الامر اي نقص المقاومة لمرور الانعال العصبيَّة هو المسمَّى عندهم بالمادة العصبيَّة

(او التعوّد العصبي) وهي في رأي الاستاذ جمس اساس التكييف العقلي اي ان نمو العقل وارتقاءه مبنيّان على الائتلاف بين مدركاته المختلفة . ويحدث الائتلاف بين ادراكين مختلفين اذا جاء الواحد على اثر الآخر مثال ذلك ان ترى ولداً فيلاً وتقول له هذا فيل فانهُ يطلق الاسم بالمسمّى حالاً و يصير يتذكر اسم الفيل كلما رأى فيلاً و يتذكر صورة الفيل كلما سمع اسمهُ وذلك لان مركز بصره تأثر حينما رأى الفيل ثم تأثر مركز سمعه حينما سمع اسمهُ وتمّ الاتصال بين المركزين فقلّت المقاومة السابقة وان لم تقل في الدفعة الاولى فانها تقل في الدفعة الثانية او الثالثة اي كلما اري الولد فيلاً وقيل له هذا فيل الى ان تزول هذه المقاومة تماماً و يصير يتذكر صورة الفيل كلما سمع اسمهُ و يتذكر اسمهُ كلما رأى صورتهُ . ولكن يشترط لحدوث ذلك ان التأثير الذي يحدث في مركز السمع حينما يسمع الولد كلمة الفيل لا يزول قبلما يصل تأثيرهُ الى مركز البصر . والاثر الذي يحدث في مركز البصر حينما يرى الولد فيلاً لا يزول قبلما يصل تأثيرهُ الى مركز السمع . فاذا كان انتقال التأثير من مركز السمع الى مركز البصر بطيئاً حتى يزول التأثير الواحد قبلما يصل الى الآخر بطل ائتلاف الافكار اي بطل تنبيه صورة الفيل لاسم الفيل او تنبيه اسم الفيل لصورة الفيل . لكن اذا كان انتقال التأثير بطيئاً في اول الامر فقد يصير سريعاً بالتكرار لان التكرار يمهد السبيل بين المركزين كما ان المشط المتوالي يسهل مرور المشط في الشعر

والآلة المشار اليها آنفاً يقاس بها مقدار بقاء التأثير العصبي في النفس كما تقدم فتقاس بها مقدرة العقل على ابقاء التأثيرات فيهِ الى ان تشعر بها سائر المراكز العصبية التي لها علاقة بها او ائتلاف معها . وقد وصل صاحب هذه الآلة بالاستقراء الى معرفة الدرجة التي يكون فيها بقاء التأثير العصبي في النفس معتدلاً لا زائداً ولا ناقصاً . فوجد ان الناس الذين كذلك معتدلو العقول بين الذكاء والخمول فاذا كانت مدة بقاء التأثيرات العصبية أقل من المتوسط درجةً زاد تفرّغ العقل حالاً لقبول ما يرد منها اليهِ فيكون الانسان سريع الخاطر شديد التأثر ومن هذا القبيل الناس الذين يطلق عليهم لقب النوابغ . واذا كانت اكثر من المتوسط درجةً مال العقل الى الغوص في المسائل العويصة وتتبع شعبها وفروعها و يكون بطيء التعلم ولكنهُ يتعمّق في ما يتعلّقُ فيوصف بالتبحّر ولا يوصف بسرعة الخاطر . وعليهِ فالذين مدة بقاء التأثيرات العصبية فيهم اقصر قليلاً من المتوسط يكونون اذكياء سريعي الخاطر والذين مدة بقاء التأثيرات فيهم اطول من المتوسط قليلاً يكونون من المتعمقين المتبحرين ولكنهم لا يكونون سريعي الخاطر

والناس الذين مدة بقاء التأثيرات العصبية فيهم اطول من المتوسط درجتين او اقصر من المتوسط درجتين يكونون من الشواذ المفرطين في التمسك بآرائهم او في سرعة الانقلاب عنها فاذا كانت المدة طويلة رسخ التأثير في النفس وعاق دخول التأثيرات الاخرى اليها كما نرى في الذين يتشبثون بآرائهم ولو لم تكن صوابًا ومن قبيل ذلك الذين يمتنعون عن الاطعمة اللحمية وعن التطعيم للوقاية من الجدري ويشذون عن الجمهور في امور اخرى من هذا القبيل. واذا كانت المدة قصيرة اسرع مرور التأثيرات في النفس فصار الانسان ضجورًا متقلبًا يكتفي بالظواهر ويكره التعمق فيدرك الامور حالاً ولكنه يسلها حالاً

واذا زاد بقاء التأثيرات عن هاتين الدرجتين او نقص عنهما لم يعد العقل سليمًا بل صار مختلاً. والذين مدة بقاء التأثيرات فيهم قصيرة جدًا مصابون بانواع الجنون الحاد والذين مدة بقاء التأثيرات فيهم طويلة جدًا مصابون بالسوداء والظاهر ان اكثر الناس في الدرجة الوسطى كما لا يخفى فلا يكثر بينهم النوابغ السريعو الخاطر ولا يكثر البلهاء المتحجرون كما لا يكثر الشاذون في آرائهم عن الجمهور

وقد امتحن كثيرون من الرجال والنساء في المعرض الياباني الذي اقيم في بلاد الانكليز هذا الصيف فظهر من امتحان ٨٢ رجلاً و ٢٦ امرأة ان متوسط بقاء التأثيرات في الرجال ١٥٣٫٦ وفي النساء ١٣٨٫٦ ولذلك قدة بقاء التأثيرات العصبية في عقول النساء اقصر من مدة بقائها في عقول الرجال. وهذا ينطبق على ما يعلم من اخلاق الرجال واخلاق النساء فالنساء اسرع ادراكًا من الرجال واقرب حيلة ولكن الرجال اكثر منهن تعمقًا في البحث والاستقصاء

وامتحن الناس الذين شعرهم اشقر والناس الذين شعرهم اسود فوجد متوسط بقاء التأثيرات في الشقر الشعر ١٥٤٫٥ وفي السود الشعر ١٥٠٫١ ولذلك فسود الشعر اسرع خاطرًا وشقر الشعر ابطأ منهم ادراكًا ولكنهم اشد منهم تعمقًا

ولا يخفى ان للعقول ملابسات أخرى ولا بدَّ من ان يلتفت اليها مستنبطو هذا المقياس حتى تقرب دلالته من الحقيقة على قدر الامكان فاذا وفى بالغرض الذي استنبط لاجله فلا يبعد ان يستعمل لتنويع وسائل التعليم والتهذيب حتى تناسب العقول فتمرنها على ما يقويها ويزيل ضعفها

علاج الاستاذ ارلخ

قرأنا في مجلة اللانست الطبية مقالة للدكتور امري الفرنسوي ذكر فيها انهُ سافر الى المانيا وقابل الاستاذ ارلخ وغيرهُ من الاطباء الالمانيين وشاهد كثيرين من المصابين بالزهري الذين عولجوا بالدواء الجديد الذي اكتشفهُ الاستاذ ارلخ وكتب وصفاً مسهباً لما رآهُ واختبرهُ هناك فان المرضى الذين عولجوا بهذا الدواء في المانيا منذ بضعة اشهر يبلغون الآلاف عدًّا فاحب الدكتور امري ان يختبر الدواء في تلك البلاد بنفسهِ . وقد رأينا ان نلخص ما كتبهُ لان رأي الاطباء الفرنسويين يعوَّل عليهِ كثيراً في هذه المسألة لما بين الشعبين الالماني والفرنسوي من المنافسة . قال الكاتب بعد مقدمة وجيزة

يجب قبل العلاج فحص المريض فحصاً مدققاً لمعرفة حالتهِ الصحية بوجهٍ عام والوثوق من سلامة بعض الاعضاء كالعينين والكليتين فيفحص باطن العين فحصاً مدققاً بالمنظار ويفحص البول . وعلى المريض ان يبقى في فراشهِ يومين او ثلاثة ايام بعد الحقن ولا يفارق غرفتهُ قبل مضي ستة ايام او عشرة ايام في بعض الاحيان . ولا تجوز معالجة المريض في المستوصف بل في بيتهِ او في المستشفى لانهُ لا بد من مراقبتهِ مدة العلاج كلها

ويسمى هذا الدواء ديأكسيديا ميدوارسينوبنزول (Dioxydiamidoarsenobenzol) وهو مسحوق اصفر اللون يوضع في انابيب من الزجاج مفرغة من الهواء ويذاب بطرق مختلفة ويحقن بهِ حالاً لئلاَّ يرسب او تنفصل اجزاؤهُ بعضها عن بعض . ولا بد من الاعتناء التام بامر النظافة في تحضيرهِ لانهُ لا يمكن تعقيمهُ بعد اذابتهِ فيجب تعقيم السوائل التي يذاب بها والادوات التي تستعمل في تحضيرهِ كالهاون والمدقة والانابيب . ويحضَّر للمعالجة بالطرق الآتية

طريقة هركسير — خذ نصف غرام من المسحوق (وهي الجرعة المعتادة) واسحقهُ في هاون حتى يصير ناعماً واضف اليهِ ثلث سنتيمتر مكعب من مذوَّب الصودا الكاوية على نسبة ٢٠ في المئة ثم اضف اليهِ وانت تحركهُ عشرة سنتيمترات من الماء واحقن بهِ حالاً قبل ان يرسب

طريقة بلاسكو — اضف الى كل نصف غرام من المسحوق ٣٦° من السنتيغرام المكعب (اي نحو ثلث غرام) من مذوَّب الصودا على نسبة ٢٠ في المئة واسحن المزيج جيداً واضف اليهِ من اربعة سنتيمترات مكعبة الى عشرة سنتيمترات من الماء المقطر

طريقة ميخالي — خذ نصف غرام من المسحوق وضعهُ في انبوبة من انابيب الامتحان واضف اليهِ سنتيمتراً او سنتيمترين من الالكحول الاثيلي ثم اضف اليهِ ثيئاً فثيئاً وانت تحركهُ ٢٠

سنتيمتراً مكعباً من الماء المقطر المعقَّم ومتى تمَّ ذوبانهُ اضف الى كل عشر الغرام من المحروق سنتيمتراً مكعباً من مذوَّب الصودا الكاوية على نسبة ٤٠ في الالف (اي خمسة سنتيمترات من مذوب الصودا لنصف غرام من المحروق) فيحمر المزيج ثم اضف اليهِ بضع نقط من محلول الحامض الخليك الاعتيادي فيصير بلون الكبريت ثم ضع عليهِ نقطة او نقطتين من محلول الصودا لتعديل الحامض واوقف تنقيط محلول الصودا متى تكونت هالة وردية في أعلى المزيج

ويحقن عادة بحقنة من الزجاج تسع ١٠ سنتيمترات ويجب أن يكون لها إبرة كبيرة من البلاتين طولها ستة سنتيمترات ويكون الحقن في الالية أو الظهر بين اللوحين أو تحتهما أو في الصدر إما تحت الجلد او في العضلات. ويفضل الحقن في الالية متى كان في العضلات. والاطباء الالمانيون قلما يستعملون الحقن في الاوردة ويشير به الاستاذ ارلخ في بعض الاحوال لسرعة فعله لكنهُ يقول انهُ لا بد من اتباعهِ بحقنة واحدة تحت الجلد او في العضلات حتى يبقى زمناً طويلاً في الانسجة ويطول فعلهُ

ويسبب الحقن بهذا الدواء اعراضاً عامة وموضعية لكنها في غالب الاحيان ليست بذات اهمية واذا كانت شديدة يجب ان يخبر المريض ان لاخطر منها. واهم الاعراض الم في موضع الحقن قد يشتد كثيراً ويظهر غالباً بعد الحقن بساعات قليلة ويكون على اشده بين الساعة الثانية عشرة والساعة الرابعة والعشرين بعد الحقن واذا كان لا يطاق يمكن تخفيفهُ بوضع الثلج على مكان الالم او الحقن بالمورفين. وربما استمر الالم اياماً لكنهُ في هذه الاحوال لا يكون شديداً. ومن الاعراض الموضعية ورم والتهاب واحمرار في الجلد فيظهر لاول وهلة كأنهُ خراجاً على وشك التكون هناك لكنهُ لا يحدث شيء من هذا اذا كان الطبيب قد اعتنى اعتناء تاماً بالنظافة

ومن الاعراض العامة حمى خفيفة وربما ارتفعت كثيراً لكن ظهورها غير مطرد. ويغلب على المريض امساك الامعاء واذا كانت الجرعة كبيرة سبَّبت اسهالاً وجفافاً في الحلق واعراضاً اخرى من اعراض التسمم بالزرنيخ

فحص الجراثيم والكشف المصلي لا بد قبل الحقن من التفتيش عن جراثيم المرض وعمل الكشف المصلي للتأكد من فعل الدواء. وقد شاهدت اصابات اختفت فيها الجراثيم في ٢٤ ساعة او ٣٦ واذا بقيت اكثر من ذلك وفحصت تحت المكرسكوب يرى انها قد ضعفت كثيراً وقلَّت حركتها ولم تعد تكسر النور كالمعتاد. اما الكشف المصلي فيصير سلبياً بعد زمن يتراوح من ثلاثة اسابيع الى شهرين

وهاك ملخص ما رأيتهُ من فعل هذا العلاج في كل درجة من درجات الداء الثلاث

الدرجة الاولى . رأيت عدداً كبيراً من المصابين بالقرحة الصلبة قد عولجوا بهِ فوجدتهُ سريع الشفاء جدًّا للقرحة متى كانت في احدى الشفتين فانهُ يزيلها في ثلاثة ايام او اربعة وتعود الغدد المجاورة الى حالتها الطبيعية بسرعة فائقة . اما شفاؤهُ للقرحة متى كانت في اماكنها المعتادة فليس بهذه السرعة فكانت تشفى في خمسة ايام الى عشرة ايام وكان يبقى التصلب حولها زمناً طويلاً ولا تعود الغدد الاربية الى حالتها الطبيعية سريعاً

وارى ان فعل الدواء في الدرجة الاولى اضعف من فعلهِ في الدرجة الثانية وهو امر لم يخفَ على الاستاذ ارلخ وقد ذكر لي اصابة عولجت بهذا الدواء فلم يوثر فيها ولم تشفَ القرحة الاَّ بعدما عولجت بالعلاج الزئبقي . واظن ان هذا الضعف في تأثير الدواء في بعض الاصابات ناتج عن خلل في الاوعية الدموية يعترض بين الدواء والجراثيم في القرحة . وقد لوحظ هذا الامر قبلاً في العلاج بالزئبق ولا يمكن ان يتخذ دليلاً على عدم فائدة العلاج والذي يستفاد من ذلك انهُ في هذه الاحوال يجب علاج القرحة موضعياً بالكي والحقن الموضعي بالزئبق

الدرجة الثانية . رأيت عدداً كبيراً من المصابين باعراض ثانوية عولجوا بهذا الدواء فوجدت فعلهُ عجيباً في ازالة البقع المخاطية على انواعها وكان بعضها يزول في ٣٤ ساعة . اما القروح فلم تكن تزول بهذه السرعة لكنها كانت تشفى شفاء تامًّا في ثمانية ايام او ١٢ يوماً على الاكثر مهما كانت شنيعة . وهذه السرعة في شفاء البقع المخاطية من الاهمية بمكان عظيم لانها كما لا يخفى اشد اعراض هذا الداء عدوًى فبشفائها يقل انتقال الداء من شخص الى آخر

اما الطفح الجلدي على انواعهِ فسريع الزوال ايضاً لكن بعضهُ كان يستعصي احياناً كما يحدث في العلاج بالزئبق . والطفح الذي يحدث في اواخر الدرجة الثانية وهو حقيقة من اعراض الدرجة الثالثة كالطفح الذي يظهر في راحة اليد واخمص القدم كان يزول حالاً رغماً عن كونهِ صعب الشفاء بالزئبق واليودور

الدرجة الثالثة . الاورام والقرحات الصمغية تزول سريعاً وقد رأيت مريضاً عند الاستاذ ارلخ مصاباً بقرحة صمغية كبيرة في ساقهِ زال نصفها في خمسة ايام . ومما هو جدير بالملاحظة ان التهاب السحاق المؤلم الذي يصاحب هذه الاورام والقروح يزول في وقت قصير وربما زال الالم في الليلة الاولى بعد الحقن . ورأيت مريضاً مصاباً بالخشم (لوزينا) زالت الرائحة الكريهة من انفهِ في ٤٨ ساعة ثم شفي في بضعة ايام

اما الاصابات بالاحشاء فيصعب تشخيصها وقد رأيت مريضاً مصاباً بالتهاب الزهري شفي

منه في اقل من اسبوع . ولا ريب ان هذا الدواء فائدة كبيرة في علاج الاحشاء المصابة كالكبد والكليتين والمعدة وغيرها لكنهُ لا بد من ان يثبت اولاً انها مصابة بهذا الداء نفسهِ فانها اذا كانت مصابة بعلة أُخرى لا يجوز علاجها بهِ

وقد رأيت بعض اصابات في العين كالتهاب الملتحمة والتهاب القزحية والتهاب الشبكية عولجت بهذا الدواء وشفيت . وذكر بعضهم اصابةً بالتهاب القزحية مع التصاقها فعادت العين الى حالتها الطبيعية بعد ثمانية ايام وذكر غيرهُ التهاب القرنية الجوهري فانجلت القرنية في يومين لكنها لم تشف تماماً

اما الامراض العصبية فيجب الانتباه الشديد في علاجها فان الاستاذ ارلخ يمنع علاجها بهذا الدواء منعاً باتاً

الزهري المورث . حُقنت امرأة حامل بهذا الدواء فلم تصب بسوء لا هي ولا جنينها ورأيت طفلاً مصاباً بحمل (سفيليس) زهري وقد ملأ جسدهُ فحقنهُ الدكتور ميخائيلي بعشرة سنتيمترات فافادهُ ذلك كثيراً لكن الاستاذ ارلخ يقول ان الجرعة للاطفال يجب ان لا تزيد عن ثلاثة سنتيمترات او خمسة وربما مات الطفل من هذه الجرعة . وحُقنت مرضع بجرعة معتادة فشفي طفلها

النكس . لم اذكر نكساً لكنني سمعت ان بعض المرضى عاودهم الداء وسبب ذلك على ما رجَّح وشمان ان مكروب الزهري لا يبقى زمناً طويلاً في الدم مثل مكروب داء النوم بل يدخل الى الانسجة ويتفرق فيها والسبب عينهِ يصير الكشف المصلي سلبياً ثم يعود ايجابياً في بعض الاحيان

اما المرضى الذين لا يجوز علاجهم بهذا الداء فهم الشيوخ والمصابون بآفات غير زهرية في الكبد والقلب والكليتين والطحال والرئتين والاوعية الدموية كتورزما الاورطي . ومثلهم المرضى المصابون بآفة في باطن العين او اعراض زهرية شديدة في الدماغ كالفالج والالتهاب الدماغي السحائي فهذه الحوادث يجب الانتباه الشديد في علاجها

والمرضى الذين تصلح معالجتهم بهِ هم المصابون بآفات زهرية لم يشفها الزئبق والذين يعاودهم الداء حالاً بعد ان يشفوا شفاء ظاهراً بالعلاج الزئبقي والذين يتكرر فيهم النكس والذين لا يحتملون الزئبق لمزية فيهم والمصابون باعراض خبيثة جداً او ذات خطر . كذلك المصابون بالقرحة الصبية في اول ظهورها فيعالجون بالحقن بهذا الدواء على شرط ان يضاف الى ذلك العلاج الزئبقي المرضي مدة طويلة

قرية على رأس اكمه

مدينة مناخة

قرية عطرة وحيران البن

البلدان العربية

(تابع ما قبله)

سكان اليمن

اليمن بلاد حضارة قديمة العهد جدًّا ولذلك فاغلب اهاليه حضر يسكنون المدن والقرى ويعيشون من الزراعة والصناعة . وهم اهل جدّ ونشاط في زراعتهم لا يفوقهم احد في ذلك على ما ارجح حتى ولا الانكليز او الالمان اهل الكد والنشاط

انا نعجب من اهل لبنان ونشاطهم لانهم كما يقال ينقلون التراب نقلاً الى ما بين الصخور حيث يجدون مكانًا لنصبة من التين او الزيتون او غيرهما من انواع المغروسات النافعة . ولا نعلم في ولايتي بيروت وسوريا عن نشاط كنشاطهم او كدّ ككدّهم حتى اصبحوا مضرب مثل في كل سوريا من اقصاها الى اقصاها . الاّ انّ الذين شاهدوا اليمن من نيبوهر الى هَرس وزويمر كلهم شاهدوا حيران شجرة البن قائمة بعضها فوق بعض ولاقيام صفوف المدرّج (الامفيتياتر) وكلهم يشهدون بالنشاط والقوة اللذين يبذلها اليمنيون في عمارة اراضيهم — نشاط وقوّة لو بُذّل اللبنانيون مثل نصفهما لكان كل لبنان جنةً واحدة متّصلة الاطراف من الجنوب الى الشمال ومن الشرق الى الغرب . انّ اودية اليمن — واليمن الجبليّة تكاد تكون كلها اودية — تراها كلها من اسفلها الى اعلاها مدرّجاً واحداً تغطي حيطانهُ شجيراتُ البنّ او غيرها من الاشجار ذات الثمر والثمر . ولقد يبنون الجدران الحجرية القويّة يعالون بها الى العشر الاقدام ويملأونها ترابًا ليربحوا ما لا يزيد عرضهُ من التربة على خمس اقدام اوست . قال هَرس عددت مائةً وسبعة وثلاثين حائراً من هذه الحيران يعلو الواحد منها فوق الاخر (الحائر والحَيْر بمعنى الجبل في لغة اهل لبنان) وكلها مبنيّةٌ جدرانها بالحجر الصلد بناء محكمًا لا يقل ارتفاع جدرانها عن التسع الاقدام

لو كنت مصوّراً لرسمت هنا للقرّاء احد الرسوم التي رسمها هرس في كتابه « رحلة في اليمن » فانّ نظرة واحدة اليها تنقل الى اذهانهم مقدار ما يبذلهُ اليمنيون من النشاط والكدّ في زراعة اوديتهم وغرسها ولعلّ استاذي لا يبخلان على القرّاء بنقل الصورة المرسومة على الصفحة الثامنة من الكتاب المذكور الى المقتطف فتكون ذخيرةً لهم ينتبهم النظر اليها عن كثير من الوصف او يفهمون الكثير من الوصف بمجرّد النظر اليها

طرق اليمن ومواقع مدنه

لو كان في الامكان ان انقل الى المقتطف الاغر او بنقل الينا هو رسمين اخرين من رسوم هَرس وهما مقابل صفحة ١١٠ و ٢١٨ من كتابه الذي اشرنا اليه قبيل الآن لاغتنينا هذه الرسوم عن صفحات من الوصف ولنقلت الى الذهن بالجملة اثراً صحيحاً عن طرقات اليمن ومواقع مدنه وقراه القائمة على شرفات الجبال وعوانقها المطلة على اوديته . فرّى كثيرٌ منها ان لم نقل اغلبها وُكَنات نسور لا يُصعَد اليها الاّ على طريق واحدة منقورة درجاً في الحجر الصلد فيستطيع العشرة فيها ان يمنعوا المئة من الوصول اليها والمئتين والمئة ان تمنع الالف والالفين

ولمّا هرس ذهب سنة ١٨٩٢ من عدن الى اليمن مكاتباً من قبل جريدة التيمس فسار الى صنعاء عن طريق لحج وذمار وخربة جرّان في حديث يطول شرحهُ وبعد ثلاثة اسابيع وصل الى صنعاء . ثم ردهُ من هناك مخفوراً احمد فيضي باشا قومندان المعسكر السابع وكان أُرسل لكبح الثائرين بعد ان كان اشتدّ امرهم على حامية صنعاء وضيقوا على الاهلين الخناق فوصل هذا القائد الباسل الى عاصمة اليمن في نَفَس الشدّة ففرّج حالاً عن حاميتها واهلها وارسل القواد الى بقية الجهات لاسترداد المواقع التي كان الثوار قد استولوا عليها وفيها هو كذلك اذا بالمستر هرس هذا امام دار الحكومة . ورأى القائد الباسل احمد فيضي باشا ان مقتضى الحال والمصلحة يقضي برجاعهِ الى حيث اتى فارسلهُ الى الحديدة عن طريق مناخة . وقد اخترت تلخيص ما كتبهُ هذا الكاتب الشاعر عن طريقهِ من صنعاء الى مناخة الى الحجيلا . والحجيلا بلدة في آخر بلاد الجبال من جهة صنعاء وآخر بلاد تهامة من جهة الحديدة وقد فعلت ما فعلت لانقل على اخصر طريق الى ذهن القارىء شيئاً من جمال جبال اليمن واوديتها وشيئاً آخر من مواقع قراها وصعوبة مسالكها

قال المستر هرس ما محصلهُ . قمنا من صنعاء صباحاً فوصلنا قهوة متنة حوالي نصف النهار فحططنا لنتغدّى الظهر ونستريح قليلاً ومن ثم سرنا حتى وصلنا بَرّان والطريق تأخذ كلها صعداً . ومن بَرّان اخذنا السير فوصلنا الى سوق الخميس مساء ونمنا هناك . ولما بلغنا اعلى العقبة قبل ان وصلنا الى سوق الخميس بتليل كنا على علو عشرة آلاف قدم فوق سطح البحر

ثم اخذ يصف الطريق بين بَرّان وسوق الخميس وقد اخترت هنا الترجمة الحرفية تقريباً قال « الطريق بين بَرّان وسوق الخميس عقبةٌ في رأس جبل تُشرف شمالاً على وادٍ كبير عمقهُ نحو من بضعة آلاف قدم . ويا لهُ من وادٍ ما اجملهُ واخصبهُ وادٍ تملأهُ اشجار البن

ويزخر زخراً باصناف النباتات الزاهية البهيَّة الجيدة ومن بينها اغراس الموز باورانها الكبيرة الخضراء تهزُّ رؤوسها تيهاً وادلالاً . وكنا نرى القرى بين هذه الخضرة الناضرة تتعلَّق بجناف هذا الوادي ولكل قرية برجها . وكانما كل قرية وكنة أسَر تقوم على هضبة خلقت من صخرة واحدة . وكثيراً ما كنت اقف بعض دقائق لاملأ نظري واعجابي من هذا المنظر الساحر الى ان تهوَّر النهار فتصاعدت حينئذٍ الغيوم من الوادي أغشية رقيقة غطَّت ما امامي من اسناد الوادي وأخفتْ عن نظري ما كنت اراهُ الاَّ قمم الجبال على الجهة المقابلة فانها كانت تظهر قائمةً فوق بحر من الغيوم المتلوِّنة بالوان قوس السحاب كانها المنائر او قبب اجراس الكنائس

« فيا لك من بلاد ايتها اليمن الساحرة . اي مجلدات من السوالف والتواريخ لا تزالين تكتمين عن علمنا وبصائرنا في اوديتك هذه العظيمة واسناد جبالك الشامخة . واية قصص كان ويكون في امكان جداولك الصافية المتكسِّرة ان تقصَّها علينا . مَن لا يعلم ان ماءك الزلال كثيراً ما جرى احمر بما مازجهُ من دم المهجات والاكباد . تسرَّبت حنادس الليل فانقلب المنظر من امامي الى منظر سكينة رهيب . سكينة غريبة في نوعها ولكنها تسحر النفس وتملأها هيبةً واجلالاً

« لما تركنا سوق الخميس في الصباح التالي كانت المناظر امامنا في جمالها ورونق جلالها كتلك التي راعت نفوسنا بالامس فما اشرقت الشمس حتى انقشعت ضبابة المساء ولاحت امامنا سلاسل الجبال سلسلة وراء أخرى وقمة تعلو قمةً أخرى من ورائها الى أن ملاها كلها في نهاية الافق غرباً سلسلة عظيمة شامخة حجبت عنا كل ما وراءها

« ثم اخذت الطريق تنحدر بسرعة وتلتوي بنا طويلاً فتارةً ترى عليها اثراً من ترميم مهندسي الاتراك وتارةً أخرى تراها بحيث نتماسك عليها الاقدام تماسكاً على جانب الجبل ليس الاَّ

« ولقد مررنا ببقعة هنا من اجمل ما رأتهُ عيني من المناظر في اليمن على منتصف منحدر تكسوهُ غابة من الشجر هنالك كان مقام لبعضهم (قبر وعليهِ بنية) والى جانبهِ ينبوع ماء عذب تتكركر مياههُ الى بركة عميقة ويقوم من ورائهِ على مسافة قمةٌ من الجبل جرداء صخرية تُرى في الافق الازرق وعلى رأسها انقاض قرية دكَّتها المدافع العثمانية لم تترك منها الاَّ الجدران تخبر بسابق وجودها . وكل منحدرات هذه القمة او الهضبة فيما دون القرية مكسوة بالشجر خميلةً واحدةً خضراء والمسجد المقام على القبر تعلوهُ القبب البيضاء

يشيب بياضها خضرة الاشجار والرياحين حولها . وصوت انهاء الجارية يزيد المنظر خلابة وسحراً فوق ما هو عليه من رائع الجمال والحدوء البالغ مبالغه

« انتهى بنا اخيراً صبب الطريق فدخلنا وادياً خاوياً خالياً لزمنا السير فيه حيث يجري الماء وكان الوادي حينئذٍ ناشفاً ومجراه مفروش بالصخور ومع ذلك فكان الين ساً وانعم ملمساً من الطريق الاصلية . وكانت هذه تتلوّى حوالي النهر تروح وتجيء لا تكاد تبين لما فيها وحوطها من الرضام والصخور الساقطة من المنحدرات فوقها

« وبعد ساعة او ما يقارب الساعة مررنا من تحت قلعة مقهاق العجيبة وهي قلعة مترببة على شاهق من الصخر يعلو نحواً من خمسمئة قدم عن الوادي او ما يزيد . ثم اخذت الطريق تصعد بنا ثانية وما زلنا برهة والطريق آخذة بنا في واد او شعب صغير من اجمل الشعاب التي رأيناها وكان هو مصبّ ذلك الوادي الكبير الفخم الذي انحنا اليه سابقاً . الصخور قائمة على الجانبين كأنها الجدران الى علو يتراوح بين الخمسين والمئة قدماً وقد نبت عليها انواع عديدة من الزهور البرية مما جعل الوادي لكثرة الوانه شبيهاً بالبساط العبقري او بوادٍ من اودية الجان (Fairy-land) خامات من الياسمين تغطي اجراف الوادي . وعلى اجراف الوادي وعلى جانبيه يزهو الطلح والصبر وتتضوّع روائحهما وهنالك شجرة ذات زهر كأنهُ زهر القرنفل الناعم قد غرستها الطبيعة على جانبي مجرى الماء الضيق فيخال ان الانسان زرعها في مكانها هذا قصداً . مرّت بنا ساعة على ما وصفنا وصلنا بعدها الى خان عجّوفنزلنا نستريح ونتغدّى الظهر ولم تلبث الا برهة بين الساعة والساعتين لاني كنت شديد الرغبة في ان نصل مناخة قبل العتمة فركبنا بغالنا وودّعنا صاحب الخان ومن كان هناك من الجند التركية وكانوا نفراً يسيراً فكنا كلما تقدّمنا في الطريق ازدادت هذه نخامةً وجمالاً لاننا كنا نتسلّقها الجبال حيث مناخة على قمّة بعضها كوكنة نسراو كن وسخمة . قلنا إنّا كنا نسير في مجرى نهر الاّ ان علو هذا المجرى عن سطح البحر كان فوق خمسة آلاف قدم . فبينا نحن نسير انقطع بنا المجرى بغتةً واخذنا نصعد في عقبة شاقة لكن كنّا بعد ما مرّ بنا من العقاب اصبحنا وقد اعتدنا السير في مثلها ولم تكن الطريق الاّ مجازاً في سند الجبل فرّشتْ فيه الصخور الناتئة عن مقرّها بساطاً غير وطيء فلم يكن يسعني ولا اظن انهُ يسع غيري ايضاً الاّ ان اتعجب كيف تُطيق بغالنا الصغيرة ان تصل الى آخر هذه العقبة . نزلت انا وعبد الرحمن وسعيد عن بغالنا في اسفل العقبة (وهو اولها) واخذنا نسابق عدواً نتسلّق الصخور تارةً ونتدهور من عليها تارةً اخرى . وما زلنا نتكدّ انفسنا صعوداً وقد خلّفنا البغال

مع المكاريين الى ان صعدنا ما يزيد على الفين وخمسمئة قدم في تلك العقبة الكؤود المتلوية فلما وصلنا قمتها وكانما وصلناها بغتةً اذا نحن بمدينة مناخة الصغيرة على كتفٍ امامنا فعزمت ان انتظر في مكاني الى أنْ يصل الينا من كان يتقدمني من الجند وكنا قد سبقناهم مسافةً بعيدة فرميت بنفسي وانا حرّان المشْ على حرف صخرة واخذت اتاملُ في ما امامي من المنظر ويالهُ من منظر عجيب هائل ! حوالينا من كل جهة قمم جبال جرداء غريبة الاشكال والهيئات ومهاوٍ تكاد تكون على خطٍّ عمودي - واحدى هذه المهاوي هي التي وقفنا عليها نستريح ونتنظر ومن على جانب منها كنا نرى العقبة التي صعدنا فيها تلتوي عنا والينا تارةً ذات اليمين وتارةً ذات الشمال وكانت البغال والمكاريّة تتراءى لنا كانها النمل لتصعّدعليها وكانت اشعة الشمس المشرفة على الغروب تلوّن قنن الجبال بلون ورديّ وكثير من هذه القنن كانت اعلى منا بالوف من الاقدام تتوّجها القرى والابراج الغريبة في بانيها مواقع واشكالاً . ثم لحقتنا البغال والرجال فركبنا بغالنا وقطعنا عليها المسافة القصيرة التي بقيت بيننا وبين مناخة ودخلنا المدينة اخذين في الطريق التي توصل الى مركز الحكومة حيث يقيم القائمقام وبعد ان تركت القائمقام ذهبت اتجوّل في المدينة يتبعني الحرس الاّ انهُ لم يكن يتعرّض لي في شيءٍ من حركاتي وسكناتي بل كنت اتجرأ على الرسم جهراً امّا منهُ لولا مخافة ان تقع عليهِ ملامة فيما لو شُوهدتُ ارسم في حضرتهِ ولذلك كنت اتحرّى الوقوف او الجلوس من وراء صخر مشرف وارسم ما اريد رسمهُ ولا يراني احدٌ

« قدّر لي ان ارى اماكن كثيرة الاّ ان موقع مناخة كان من اغرب واعجب ما رأيتهُ لانها مبنية على كتف جبل ضيّق هو وصلة بين سلسلتين من الجبال . وفي هذا الكتف خط مفرق المياه لواديين عظيمين جدًّا ارطما الوادي الذي سرنا بهِ حتى وصلنا اليها والثاني الى الغرب منها . والكتف هذا المبنيّة عليهِ المدينة ضيّق جدًّا حتى انّ كثيراً من جدران البيوت على جانبيهِ من هنا وهناك تقوم على اجراف الوادي العميق تحتها . بل بعض المباني تطلّ على الواديين معًا فيراها الجالس فيها في وقت واحدٍ ومن موقف واحد

« ويزيد هذا المنظر الغريب غرابةً ما حولهُ من القمم الغريبة الاشكال القائمة حولهُ وماذا اقول في وصفها ؟ انهُ لا يحضرني الفاظ تشفُّ عما يدل على اشكالها وهيئاتها فانها غريبة في بابها يقف الخيال حائراً عندها . فوارع شاهقة جدًّا جرداء صخرية متوعّرة منتصبة كالجدران تنتهي برؤوس كأنها قوالب السكّر على كثير منها الغاقل بناها الاولون اما

كيف يصعدون اليها او ينزلون منها او من اين يستقون مياههم فيها لكل ذلك مما يوجب الاستغراب ويُلقي في الحيرة والدهشة

« اما مناخة نفسها فمدينة صغيرة وربما لا يزيد عدد سكانها عن خمسة آلاف نسمة وبيوتها من حجر اغلبها ذات ثلاث طبقات وبعضها ذات اربع وسوقها عامرة تجد فيها كل ضروريات المعيشة المتمدنة وفيها مخازن كبيرة واحد او اثنان منها لرجال من اليونان تجد فيها ما تجده في مثلها من مخازن مصر والاسكندرية

« وموقع مناخة يعلو سبعة آلاف وستمئة قدم عن سطح البحر ولذلك هو عرضة للتقلبات الجوية السريعة فانهُ لم تمرّ الساعتان على وصولنا تحت اشعة الشمس الحارّة حتى طبّقت السماء بالغيوم بما اخفى المناظر امامنا عن اعيننا وهبطت درجة الحرارة الى خمسين فهرنهيت فاضطُررنا الى الاصطلاء بالنار على كوانين النحاس انا ومن معي . وعند الساعة الثامنة اخذتني الحمّى فجأة ولم تفارقني الى الساعة العاشرة من الصباح التالي وكنت في ذلك الحين لا اقوى على النهوض الاّ بمعاونة من ينهضني فتوقّفنا عن السفر ولم يتصعّب عليّ القائمقام في المقام يوماً آخر بل بذل ايضاً كل ما في وسعهِ لراحتي . وبعد الظهر كنت استردتُ شيئاً من قوّتي فجررت نفسي الى ظلّ بين الصخور حيث اضرم لي خاوماي ناراً وطبخا قهوةً

« وكان الموقف الذي تخيّرتهُ يُشرف على الوادي الكبير غربي المدينة من اعلاهُ الى اسفلهِ فرأيت حيران البن وغابات الموز ادراجاً بعضها فوق بعض ورأيت القرى وسطوح بيوتها امامنا كأنها رقعة شطرنج ينظر اليها اللاعب من علوّ . وكان على مسافة في الوادي يتراءى لنا خيط من النور الفضي يتمُّ على نهر جارٍ هناك تمدّهُ من تلك المنحدرات الصخرية مئات من النهيرات تتكسّر مياهها على الصخور او تهبط من فوقها على طريقها لتلتقي بالنهر الكبير في اسفل الوادي . ثم من وراء ذلك كان ضباب ورقم جبال اختفت عنا اعالبها فصارت كأنها الغيوم ولكنها جميلة جمالاً لا يفصح عنهُ بلسان

« الاّ ان اهمية مناخة ليست في جمال مناظرها وجلالها بل في موقعها الحربي لان نقطتها تتسلّط على الطريق السلطاني ما بين الحديدة وصنعاء وهي على نصف المسافة بين المدينتين تقريباً ومن اصلح النقط لحفظ خط المواصلة بين الساحل وصنعاء قلب البلاد اليمنية

من مناخة الى الحجيلاء

« قمنا باكراً في الصباح التالي نقصد الحجيلاء . والطريق في اثناء الاميال الاولى تاخذ في جانب الجبال على الجهة الجنوبية من الوادي وتذهب منحدرًا بالتدريج ساعةً او ما يزيد حتى

يبلغ ارتفاعها ثمانية آلاف قدم فوق سطح البحر وهناك تقطع ضهراً من الارض بقرب قرية الهجرة ثم تأخذ بالهبوط

«وقرية الهجرة هذه مبنية على نشز ترتفع استاده من كل جهة كالجدران وظاهر القرية يدل على انها قرية كبيرة ذات اهمية فضلاً عن ان موقعها حصين جداً . واما البلاد حولها فجميلة جداً — مياهٌ كثيرة ولا ينقصها الشجر ايضاً

«لم نلبث الا قليلاً بعد ان تركنا الهجرة الى يميننا واخذت الطريق تنحدر بنا حتى ظهرت لنا قرية اخرى اعجب واغرب من القرية التي تركناها . والقرية يقال لها عطرة . اما موقعها فعلى مرتفع من الارض تحيط به من كل جهاته الحيران المدرّجة ثم من وسط هذا المرتفع ينهد قرنٌ من الصخر يذهب صُعُداً في الهواء مئات من الاقدام وينقسم في منتصفه على خطٍ عمودي الى قسمين يعلوان معاً وعلى راس كل من القسمين بيت كبير ذو طبقات او معقل يُلجأ اليه . والناظر الى هذين المعقلين لاول مرة يذهب ذهنهُ بادئ بدء الى السؤال كيف يُتوصَّل اليهما فان العين لا ترى طريقاً لها ويصعب على الناظر أن يصدق أنَّ ثمَّ طريقاً وقد اخبرني رفاقي ان الطريق اليهما في سُلَّم منقور درجاً في الصخر — وعلى قاعدة القرن بقية بيوت القرية تلتفُّ حواليه . اجتزنا عطرة والطريق تلتوي بنا على جانب الجبل وما زلنا كذلك حتى وصلنا الى قهوة ونزل قبل الظهر بقليل . وموقع ونزل غريب جداً (نظير اكثر مواقع قرى اليمن) فانها على شفا جرُف تحتها عميق جداً . اما المكان بالذات فحقير وهو اكواخ منطاة بالحصر والكلا للاستظلال بها وهناك جتينة صغيرة فيها بعض الحيران يشرف الناظر من جدرانها الى الوادي العميق تحتها على خطٍ عمودي تقريباً فجلسنا تحت شجرة ظليلة على بساطٍ بسطناه تحتنا نروّح نفوسنا ونمتّع أعيننا بما حوالينا من المناظر الفخيمة وكنا في موقفنا اذ ذاك نعلو اربعة آلاف وخمسمئة قدم فوق سطح البحر واما منا مدرّجات من حيران البن لم نرَ ما يماثلها الى الآن فان زراعة البن على اجودها في هذه الجبال ولاسيما على اسناد سلسلتي جبل مسار وصفان (Safan) الى الشمال منا والجبال فوق هذه الحيران تعلو صعداً في الهواء كالجدران ويكاد يكون على كل قمة من قممها قرية وحصن من القرى والحصون التي مرّت بنا الاشارة الى وصفها فيما سلف . تركنا ونزلنا والطريق عقبة تنحدر وتلتوي بنا على سند الجبل الأن آثار العمارة ظاهرة عليها فان الاتراك وسعوا الطريق هنا وزرعوا الاشجار على جانبيها للظل ولمنع التربة من ان يجرفها السيل وما زلنا نمشي حتى وصلنا مجرى النهر في الوادي فلقينا حينئذٍ من المشقة اشدّها لان المجرى

وهو الطريق كان غاصًّا بالرضام والصخور المدملكة الى حدٍّ لم تكن البغال تقوى فيهِ على السير الاَّ بصعوبة شديدة فاضطُررنا الى ان نمشي على اقدامنا وما زلنا نمشي والمجرى يتضايق الى ان صار مضيقًا لا يزيد عن مجرى السيل والصخور تعلو على جانبيهِ كالجدران الى ما يقارب الثمانين قدمًا . واستمرَّ بنا المسير كذلك مدة الى ان تخلَّصنا من المجرى وصعدنا في تلَّة صخرية عن شمالهِ . وبعد ان جزنا مشًى صغيرًا سهلاً اخذنا نتحدر نحو قرية الحجيلا . فوصلناها بين الساعة والساعتين قبل الغروب . وفي هذه القرية تغيَّرت علينا المناظر وتغيَّر الهواء . فارقنا تهامة وودَّعنا جبال اليمن العظيمة واوديتها الخصيبة الجميلة » . (راجع كتاب هرس — رحلة في اليمن — من صنعاء الى مناخة والى الحجيلا)

انَّ السِّر هرس كتب كتابة شاعر حرَّكت نفسهُ عظمة الجبال وجمال الاودية ومع ذلك فالمطلع على ما نقلناهُ عنهُ هنا تارةً تلخيصًا وتارةً ترجمةً بالحرف تقريبًا فانهُ يتصوَّر صورة جلية تقرب من الحقيقة عن بلاد اليمن وجبالها واوديتها وصعوبة مسالكها وحصانة مدنها وقراها . ويتهيَّأ لهُ ما جعلنا ما كتبناهُ الى الآن توطئة لهُ من اهمية البلدان العربية في المملكة العثمانية للمستوربة واهمية اللغة العربية فيها اي في المملكة وموعدنا بكل ذلك الاعداد القادمة ان شاء الله

جبر ضومط

حقوق الامم

(تابع ما قبلهُ)

(١٠) املاك الدول

يعتبر علماء القانون الحكومة شخصًا معنويًا لهُ ما للشخص الحقيقي من حق التملك والتصرف في الملك واملاك الحكومة على قسمين منها ما هو داخل ضمن دائرة تصرفاتها مع رعاياها ومنها ما لهُ علاقة مع الحكومات الاخرى الاجنبية وهذا ما نحن بصدده الآن . وقد قسموا اموال الحكومة قسمتهم اموال الافراد الى ثابت ومنقول . فمال الحكومة الثابت هو الارض المكونة للدولة والداخلة ضمن حدودها وهذه الحدود قد تكون طبيعية كجبال الالب او جبال البيرنه الفاصلة بين اسبانيا وفرنسا او كالبحار والانهار التي تفصل مملكة عن اخرى وقد تكون وهمية يتفق عليها بين الدول المتجاورة . ويعدون مستعمرات الدولة من املاكها ايضًا مثل الارض في المملكة الاصلية فتكون انكلترا في الجزر البريطانية مثلها في كندا او استراليا من حيث

القانون الدولي العام على ان من اهم اموال الحكومة املاكها المائية اعني شطوطها البحرية الى حد محدود وما يدخل في اراضيها من خلجان وقنوات وترع وما شاكل

الشطوط البحرية . اذا جاز لحكومة ان تحافظ على كيانها وتتولى شؤونها داخل اراضيها جاز لها مثل ذلك ايضاً الى حد محدود من البحر بحيث تكون في مأمن من مفاجأة الاعداء فانها ان لم تملك حق التملك في البحر الى حد محدود اصبحت شواطئها عرضة للعدو وجميع مرتكبي الجنايات الذين يتمكنون من الوصول اليه فارين من اليابسة . لذلك اتفقت الدول كلها على اعطاء حق ملكية البحر للدول التي يكون لها شواطئ عليه

وجعلوا لهذه الملكية حداً محدوداً يصير البحر بعده ملكاً مشاعاً لجميع الناس فسموا القسم من البحر التابع للدولة « البحر التابع للارض » او « البحر الخاضع للقانون » وقد كانوا يختلفون في عرض هذا الجزء من البحر فجعلوه ستين ميلاً عن الشاطئ ثم جعلوه اقل واكثر . والاجماع الآن على اعتبار المسافة التي تقطعها قنبلة المدفع من الشاطئ بحراً خاصاً للدولة المشاطئة . ولكن بالرغم من ذلك ترى كثيراً من الدول يحدون مناطق نفوذهم في البحر بمعاهدات واتفاقيات خاصة بهذه الامور فمعاهدة الاستانة المعقودة في ٢٩ اكتوبر سنة ١٨٨٨ بشأن قناة السويس جعلت منطقة النفوذ ثلاثة اميال بحرية تبتدئ من الخط الذي أتفق على اعتباره خطاً يحمي الموانئ الموصلة الى القناة

اما نقطة القياس فتبتدئ من الشاطئ حيث تظهر اليابسة بعد جزر البحر

وحكم هذا الجزء من البحر حكم الارض على السواء من حيث الخضوع لسلطة الحكومة في كل ما تفرضه من القوانين

البحر المحاط باليابسة . من البحور ما تحيط به الارض من كل الجهات ولا منفذ له الى بحر آخر كبحر قزوين والبحر الميت وبحر اورال . فاذا احاطت به دولة واحدة كان خاصاً لهذه الدولة في احكامها بلا نزاع

اما اذا احاطت به املاك دول مختلفة فلكل دولة الحق في الشاطئ على بعد مرمى المدفع كما تقدم وما زاد على ذلك فكلهم على السواء في حق التمتع بالملاحة . ولكن الحق لبحر القوة فبحر قزوين الذي يجب ان يخضع لهذه القاعدة ترى ان لا حق للدولة غير الروسية فيه فانها بموجب معاهدة كوليستان سنة ١٨١٣ ومعاهدة تركمانساي في سنة ١٨٢٨ مع ايران انفردت بحق تسيير السفن الحربية في هذا البحر وجُعل تحت سلطانها

ومن البحار ما تحيط به اليابسة من كل الجهات ما عدا مخرجاً ضيقاً او واسعاً يوصله ببحر

آخر . فحكم هذا البحر من القانون ما تقدم الكلام عنهُ من البحار المحبوسة ضمن اليابسة فانهُ اذا كانت شواطئ هذا البحر وجهتا مضيقهِ المؤدي الى بحر آخر ملكاً للدولة واحدة استقلت فيهِ وجعلتهُ من ضمن املاكها كبحر ازوف في الروسيا اما اذا تجاورتهُ ممالك متعددة فالحق فيهِ للجميع على السواء . وقد يكون البحر كبيراً واسماً وتكون ضفتا قناتهِ بعيدتين الواحدة عن الاخرى بعداً لا يمكن معهُ للدولة صاحبة الشاطئين ان تحميهُ بمدافعها الراكزة على البر ففي هذه الحالة يعد هذا البحر مشاعاً لسفن جميع الدول على السواء

ولبعض البحار في العالم تاريخ غريب في علاقتهِ مع الدول المجاورة لهُ لا يخلو ذكرها من لذة تاريخية فضلاً عن الفائدة القانونية . فقد قرأت في كتاب للمؤلف الرومي ميشيف فصلاً عن البحر الاسود بحث فيهِ عن التقلبات التي طرأت على هذا البحر من حيث مركزهُ القانوني تجاه روسيا وتركيا وبقية الدول المتاخمة . قال

لا يخفى ان البحر الاسود يتصل بالبحر المتوسط بمضيقي البوسفور والدردنيل ويدخل بين هذين المضيقين بحر مرمرا

وتركيا تملك شواطئ المضيقين كلها ولكن البحر الاسود لا يعدّ الآن بحراً مقفلاً وانما قد كانت لهُ هذه الصفة فيما مضى . فعلى شواطئهِ الآن املاك دول متعددة وزد على ذلك ان نهر الدانوب يصبُّ فيهِ وهذا النهر تحيط بهِ املاك النمسا والمجر وسربيا وبلغاريا ورومانيا ولا ترضى واحدة منها ان تمنع عن النزول الى البحر الاسود لتسيير سفنها فيهِ وتخرج منهُ تجارتها

على ان حكم البحر الاسود لم يكن هكذا فيما سلف . فقد امتلكت تركيا شواطئهُ كلها مدةً طويلة من الزمن ونزعت من روسيا املاكها المجاورة لهُ وذلك بموجب معاهدة بلغراد في ٧ سبتمبر ١٧٣٩ وحظرت عليها ان تسير فيهِ مراكب حربية او تجارية . ثم انقلب الحال وارجعت الملكة كاترينا الثانية في ١٠ يوليو ١٧٧٤ حق تسيير السفن في البحر الاسود وفي بحر مرمرا وجميع المياه العثمانية ايضاً وذلك بمعاهدة كوتشوك كينارجي قرية في ساحلهِ ثم فتح المضيقان لسفن النمسا التجارية سنة ١٧٨٤ ولانكلترا سنة ١٧٩٩ ولفرنسا سنة ١٨٠٢ ولروسيا سنة ١٨٠٦ . وجاءت بعد ذلك معاهدة أدرنه سنة ١٨٢٩ حيث اخذت روسيا حق تسيير اسطول حربي في البحر الاسود وجاء في هذه المعاهدة ان مضيقي البوسفور والدردنيل يفتحان لسفن الدول التجارية لا الحربية . وهذا المنع اي منع السفن الحربية من دخول البوسفور والدردنيل من اهم قواعد بناء المملكة العثمانية الحالي ولا تفرط حكومة الاستانة بهذا الحق اقل تفريط محافظة على كيان القسطنطينية

وجاءت حرب القرم ومعاهدة باريس على الاثر سنة ١٨٥٦ فمنعت الروسيا وتركيا من تسيير السفن الحربية في البحر الاسود واقرت الدول على حيادهِ كما ان سويسرا وبلجيكا من الاراضي المعدودة على الحياد وجددت هذه المعاهدة شروط منع سفن الدول الحربية من دخول البوسفور الاَّ بارادة سنية من السلطان

ولم يكن حياد البحر الاسود بالامر الدائم فان دولة كروسيا لا ترضى بان يُسدَّ في وجهها بحر مثل هذا تعدّهُ بابًا لرزقها التجاري وقوتها الحربية البحرية وصارت تتحين الفرص الى ان كانت الحرب السبعينية بين فرنسا والمانيا فاغتنمت فسخ معاهدة باريس وعدم اعتدادها بها وجاءت اتفاقية لندره في ١٣ مارس ١٨٧١ مؤيدة لدعواها فان الدول رضيت باعادة روسيا الى ما كانت عليهِ قبل معاهدة باريس وخولتها حق اقامة ترسانات حربية واساطيل في البحر الاسود وسمحت لتركيا ان تفتح بوغاز البوسفور لسفن الدول المتحابة الحربية ايام السلم حتى تحميها عند اللزوم من هجمات الروسيا

ولما كانت الحرب الروسية التركية في سنة ١٨٧٧ ظهرت نتائج المعاهدة السابقة اذ اقتربت روسيا من الاستانة وكادت تدخلها لولا دخول الاسطول الانكليزي البوسفور ووقوفهُ مهدداً الجيش الروسي الزاحف . ويظهر ان روسيا اخذت في هذه الايام تسعى في استرجاع ما كان لها من الشأن في الشرق الادنى بعد ما اصابها في الاقصى فقامت تعزز بحريتها في البحر الاسود ولكن الحكومة العثمانية الحالية تنبهت للامر واخذت لهُ عدتهُ

بحر البلطيق . كانت الدانمرك وروسيا واسوج تدّعي ان لها حق المراقبة على هذا البحر فتمنع دخول سفن غيرها الحربية اليهِ وقت الحرب وتتعهد بحفظ النظام فيهِ وتفتحهُ لجميع السفن التجارية مدعيةً وجوب عدّهِ بحراً مقفلاً تتملكهُ الدول المشاطئة ليس الاَّ . على ان الدول لم تعمل بهذا المبدإ ولم تعترف دولة بهِ

وقد اتفقت هذه الدول الثلاث سنة ١٨٠٠ على ان تحافظ على حرية التجارة في هذا البحر وان تمنع كل تعدٍّ يقع عليهِ من الدول الاخرى قاصدة بذلك انكلترا في ذلك الزمن

ولكن هذا الخوف قد زال الآن واصبح موجهاً الى المانيا التي تطمع في جعلهِ بحراً المانيًا تقف فيهِ لانكلترا بالمرصاد . اما القانون الدولي العام فعلى اعتبار بحر البلطيق بحراً مشاعاً لكل الدول

سامي الجريديني
المحامي

المآخذ الشعرية

(تابع ما قبله)

وقال ابو محمد غانم بن الوليد المخزومي المالقي عاقداً قوله « من اصبح آمناً في سربه معافى في بدنه معه قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها »

ثلاثة يُجهل مقدارها الامنُ والصحة والقوتُ
فلا تشقَ بالمال من غيرها لو انهُ درٌّ وياقوتُ

وقال الحريري مما يقوله « عليكم بالصدق فانهُ يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة والكذب فجور والفجور يهدي الى النار »

عليك بالصدق ولو انهُ احرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضى المولى فاشقى الورى من اسخط المولى وارضى العبيد

وقال النواجي صاحب حلبة انكيت عاقداً قوله « انما مثل اهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا »

قد تداني الرحيل والسير صعبٌ فعلامَ التندمُ من غير زادِ
ولبحر الهوى غرقت ولكن بك ارجو النجاة يوم المعادِ

وتابعهُ شهاب الدين الخفاجي بقوله

ان آل البيت حبي لمُ مالي وزادي
وهم سفن نجاتي في معاشي ومعادي

وقال آخر عاقداً شطر قوله « ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فالمنجيات خشية الله في السر والعلانية والعدل في الرضى والغضب وانصاف الناس من نفسك . والمهلكات مطاع وهوىً متبع واعجاب المرء بنفسه »

ثلاث مهلكات لا محالهْ هوى نفس يقود الى البطالهْ
وشحٌ لا يزال يطاع دأباً وعجبٌ ظاهر في كل حالهْ

وقال شيخ الاسلام ابو الفضل بن حجر مما يقوله « من لا يرحم لا يُرحم

ان من يرحم اهل الارض قد آن ان يرحمهُ من في السما
فارحم الخلق جميعاً انما يرحم الرحمن منا الرحما

وقال ايضاً عاقداً قولهُ « ليتخذ احدكم قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وزوجة صالحة تعينهُ على امر الآخرة »

من خير ما يتخذ الانسان في دنياهُ كيما يستقيم دينهُ
قلباً شكوراً ولساناً ذاكراً وزوجة صالحة تعينهُ

وعقد الوداعي قولهُ « عجب ربك من اقوام يقادون الى الجنة بالسلاسل »

اذا رأيت عارضاً مسلسلاً في وجنةٍ كجنة يا عاذلي
فاعلم يقيناً انما من امةٍ تقاد للجنة بالسلاسل

واقتبس الشيخ احمد البربير من المتأخرين قولهُ « جنة الرجل دارهُ »

الزم البيت ان ذكت من غضا الفحر نارهُ
وتحصن فانما جنة المرء دارهُ

وعقد ابو العتاهية قولهُ « انما لك من مالك ما أكلت فافنيت او لبست فابليت او اعطيت فامضيت »

اذا المرء لم يعتق من المال نفسهُ تملكهُ المال الذي هو مالكهُ
ألا انما مالي الذي أنا منفقٌ وليس لي المال الذي انا تاركهُ
اذا كنت ذا مال فبادر بهِ الذي يحقُّ والاَّ استهلكتهُ مهالكهُ

واقتبس بعضهم معنى قولهِ « مثل المؤمن مثل الخامة من الزرع تميلها الريح مرة هكذا ومرة هكذا »

انما نحن مثل خامة زرع فتى يأنِ يأتِ محتصدهُ

وألمَّ المتنبي بقولهِ « جبلت القلوب على حبِّ من أحسن اليها » فقال

وكلُّ امرئٍ يولي الجميل محبَّب وكل مكان ينبت المرَّ طيِّبُ

وقد وقفت في المكتبة الظاهرية بدمشق على مخطوط فيهِ رسالة عنوانها « المنظوم والمنثور » تأليف ابي الحسين عفيف بن محمد الخطيب وهي احاديث رواها نثراً ثم نظمها نثع في ثماني صفحات

قال مضمناً قولهُ « الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان »

قولُ عليٍّ اوضح البرهانِ وافضل الحجة والبيانِ
يروي عن النبيِّ في الايمانِ بأنهُ معرفة الجنانِ
والاعتراف بعدُ باللسانِ والعمل الصالح بالاركانِ

وقال في قولهِ « ذبُّوا باموالكم عن أعراضكم »

قول النبي المصطفى لك حجة فاقبلهُ بالتقبيل لا الاعراضِ
اذ قال في تأديبهِ اصحابهُ ذبُّوا بمالكمُ عن الأعراضِ

وقال في كلامهِ « من أُعطي حظهُ من الرفق فقد أُعطي حظهُ من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظهُ من الرفق حرم حظهُ من الدنيا والآخرة »

قال الرسول الهاشميُّ الذي قد اكرم الله بهِ الأُمَّهْ
من أُعطي الرفق فقد نال من دارَيْهِ اسنى الحظ والشهمه
والأخرق المحروم في رفقهِ قد يخس الحظَّ من النعمه

ومن مقتبسات المعاصرين عقد مصطفى افندي الرافعي لقولهِ «الجنة تحت اقدام الامهات»

اجثُ خضوعاً واحتراماً لمن امك في حوّاء من امها
ألا ترى الجنة في ما رووا مطلوبة من تحت اقدامها

وقال ابن حجة الحموي مشيراً الى تسلسل الاحاديث

وللعذار احاديث مسلسلةٌ صحَّت بتخريجها منا رواياتُ

وقال ابو اسحق ابن الحاج النميري في ضعف الحديث المسلسل اذ يقول المحدثون « الحديث المسلسل لا يخلو من الضعف ولو في التزام التسلسل مع كون متن الحديث صحيحاً »

رعى الله معطار النسيم فانهُ رأى من غصون البان ما شاء من عطفِ
وأبدى حديث الغيث وهو مسلسلٌ لنالك لعمري ليس يخلو من الضعفِ

وقال الشيخ احمد البربير موجهاً باسماء كتب الحديث

رعى الله في الدنيا أفاضل جلّقٍ فكم عمني منها سرورٌ وإكرامُ
اناسٌ وجدنا من شمائلها الشفا مصابيح هدي يهتدي بشكاتها الشامُ

هذا وقد يكون اقتباس الاحاديث في النثر مثل قول الحريري : فانما الاعمال بالنيات . وبها انعقاد العقائد الدينيات . وقولهِ ايضاً : شاهت الوجوه . وقبح اللكع ومن يرجوه . الى غير ذلك مما لا يمكن استقراؤهُ

زحلة عيسى اسكندر المعلوف

بين الوطنية والسياسة

دعني فقد تهنهتُ عن اشجاني ... وادالَ لي من صبوتي سلواني
ما زلتُ اسبرُ غورَها وارودُها ... حتى غشيتُ مكامنَ الكتمانِ
فوقفتُ بين تذلُّلٍ وتدلُّلٍ ... مالي بما يتقاضيان يدانِ
وخرجتُ من رقِّ الشباب وانهُ ... عبءٌ ينوء بحملهِ الثقلانِ
ما في الهوى غير الهوان وهل ترى ... يرضى معزَّتهُ فتى لحطانِ
الفائق الخفرات في استحيائهِ ... الخائضُ الغمرات غير جبانِ
لا يبتغي بدلاً بحبِّ بلادهِ ... وكذاك يفعل صادق الايمانِ
يا حبذا حصباؤها وسماؤها ... وبشاشة السكان والعمرانِ
لم يلمح المتنافسون جمالها ... الاَّ وقد خرُّوا الى الاذقانِ
ورأوا بها فصلَ الخطاب فسبَّحوا ... لله معطي ذلك البرهانِ
فرياضها مُخضلَّةٌ فينانةٌ ... من كل فاكهةٍ بها زوجانِ
ضحكت بها الازهار في اكمامها ... مزدانةً بزواهر الالوانِ
والطلُّ في آماقها متحيرٌ ... فكانهُ متحيِّرُ الوجدانِ
ثبُ الجنادبُ كالرواقص بينها ... قد هاجهنَّ تجاوبُ الميدانِ
وبرقُ منتشر الفراش خلالها ... متهلِّلاً كشقائق النعمانِ
وهناك تزدحمُ الطيور وتنبري ... خطباء فوق منابر الاغصانِ
تشدو لها العُدرانُ تحت ذُيولها ... شدوَ القيانِ باعذبِ الالحانِ
وتهزُّها النسماتُ في أنفاسها ... هزَّ العُقار معاطف النشوانِ

•••

وجبالها في الحسن فوق سهولها ... مثل النُّهود على صُدُور غوانِ
نَسَجَ النباتُ لها وشاح زمرُّدٍ ... حلاَّهُ منثور الحصى بجُمَانِ
والبحرُ كالولهان جاشَ بصدرهِ ... شوقٌ ألحَّ عليهِ بالخفقانِ
تهفو بهِ أمواجهُ وكأنها ... تبدي طويتهُ بغير لسانِ
والبدر يخترق الفضاء ويرتمي ... في أوجهِ ويعيدُ في الدَّوران
يوحي الى تلك المحاسن نظرةً ... فيها من السحر الحلالِ معانِ

هذا هو الوطنُ الذي لا أنتني عن حبهِ في السرِّ والاعلانِ
لم أدرِ ما مضضُ الوجود يظلهِ حتى كأني في وجود ثانِ
وكأنهُ الفردوسُ لولا أنهُ مثلوثةٌ بمفاسدِ الانسانِ
فمتى يُقال الشرقُ من عثراتهِ ويردُّ عزَّةَ ذلك السلطانِ
وتهبُّ من تلك الشمائل نفحة تسري مع الارواح في الابدانِ
أقلم يرَ الغربيَّ أستار باهلهِ فاضاء بعد حوالك الادجانِ
ملكوا زمام الجوِّ وانتشروا بهِ لا يعبأون بطارق الحدثانِ
متخطفينَ بهِ كأسرابِ القطا متجاذبين أعنَّةَ الطيرانِ
متهالكين وراء ادراك العلى متنافسين سرائر الاكوانِ

***

يا شرق قد طاب النعيم فما الذي أشقاك حتى بتَّ في لخذلانِ
هل مضَّك الداء الذي اوصابهُ طاحتْ بملكِ الفرس والرومانِ
فظللتَ بين تعصب وتحزُّبٍ حتى غدوتَ وكل بحرٍ فانِ
كم فيك من ذي همةٍ وكأنهُ قد بات فوق مواقدِ النيرانِ
كتبتْ على اخلاقهِ اعراقهُ ذمَّ العلى ومواثق العرفانِ
فقدا ومطمحهُ صيانة قومهِ في الدين والدنيا من الادرانِ
تخذلهُ وتأبى عنهُ ولم تزلْ من بعدهِ متداعيَ الاركانِ
فانهض فقد وضح الطريق وشمَّرتْ نُوابك الاحرارُ بعد توانِ
وخذِ الامان من الزمان فانني أخشى عليك تقلُّبَ الازمانِ

***

يا معشر النُّواب هذا يومكمْ والدهرُ اقصرُ والخطوبُ دوانِ
فخذوا بأيدي العاثرينَ وقرِّبوا متباعد الاجناسِ والاديانِ
وتألفوا تلك القلوب وخففوا ما قد تكاءدها من الاضغانِ
وقفتْ على ابوابكمْ آمالنا حيرى وقوفَ الدمعِ في الاجفانِ
ترجو وقد اخذ الاسى بنطاقها فرجاً تعوذ بهِ من الاحزانِ
فقدِ انطوى العهد القديمُ باهلهِ وبظلهِ في طيِّ النسيانِ
وغدتْ مراوغةُ القوي ضراعةً يأبى تحمُّلها بنو عثمانِ

وتداركوا العرب الكرام وهوّنوا ما قد تجشّمهم من العدوان
لا تسمعوا متحزمين تخيّلوا من قدرهم بالافك والبهتان
فهم كما شاء الاله أعزّة لن يهرموا أو يهرم الفتيان
شهدت لهم اقوالهم وفعالهم بشبابهم في خدمة الاوطان
ومشت على اثارهم فتيانهم والسرّ كل السرّ في الفتيان

الخرطوم فؤاد الخطيب

رحلة بارتيا الى الحجاز واليمن والهند

(تابع ما قبله)

ذكرنا في الجزء الماضي وصول بارتيا مع الركب الشامي الى المدينة ونأتي الآن على وصفه لها ولمكة وجدة وارتحاله من الحجاز الى اليمن قال

وللمدينة سور مبني بالطين [1] لكن بيوتها مبنية بالحجر الصلد والبلاد حولها قفر بلقع لا نبت فيه لكن على رمية سهم منها حديقة من النخل فيها قناة للماء ينزل اليها على ادراج لا يقل عددها عن اربعة وعشرين درجاً ومتى وصل الحجاج استولوا على هذا الماء [2]

واقمنا في المدينة ثلاثة ايام زرنا فيها كل المشاهد التي هناك ففي اليوم الاول من وصولنا اليها دخلناها من الباب المحاذي للمسجد ومع كل واحد منا رجل يأخذ بيده ويريه قبر النبي. والمسجد مستطيل طوله مئة خطوة وعرضه ثمانون وله ستة ابواب في ثلاث جهات منه في كل جهة بابان وله سقف مقبّب على ثلاثة جوانب منه وعدد سواريه أكثر من اربع مئة وهي من الحجر المحروق مطلية بالجير. وفي المسجد نحو ثلاثة آلاف مصباح [3]

وفي الجانب الايمن من المسجد بناء مربع عليه ستارة من الحرير وحوله حاجز من المعدن

(١) قال برتن ان هذا السور من بناء قاسم الدولة الغوري. وهو الآن مبني بالحجر الحجب والجرّة ومعقود بالجير بناه السلطان سليمان (٢) هي المعروفة الآن بحدائق قباء. قال ابن جبير وقباء قبلي المدينة ومنها اليها نحو الميلين وكانت مدينة كبيرة متصلة بالمدينة المكرمة والطريق اليها بين حدائق النخل المتصلة (٣) قال ابن جبير وطول المسجد الكريم مئة خطوة وستون خطوة وسعته مئة وست وعشرون خطوة وعدد سواريه ٢٤٠ وهي من حجر مخروت قطعاً قطعاً مطلية مثنية توضع اثر في ذكر وبيرغ بينها الرصاص المذاب وتكسى بفلائح جيار وبالغ في صقلها ودلكها فتجيء كأنها رخام أبيض. وقال برتن ان طول المسجد ٤٣٠ قدماً وعرضه ٤٠٠. والمسجد يضاء الآن بالكهربائية

جميل الصنع يقف امامهُ الزائرون وفي الجانب الايسر من الحاجز بابٌ يؤدي الى البناء المذكور وفي البناء باب آخر صغير وعلى مقربة من احد هذين البابين نحو ٣٠ كتابًا وبازائهما ٢٥ كتابًا وهي كتب النبي والصحابة[1]. وداخل الباب الصغير قبر النبي وعلي وابي بكر وعثمان وعمر وفاطمة[2]

ثم ذكر الكاتب ارتحالهُ من المدينة ووصولهُ الى مكة فقال في وصف مكة . هي مدينة غاية في البهاء غاصة بالسكان فيها نحو ٦٠٠٠ بيت ومساكنها حسنة جدًا مثل بيوتنا وربما بلغ ثمن الواحد منها ثلاثة آلاف دينار او اربعة آلاف . وقبل وصولنا الى المدينة رأينا جبلاً على ربع ميل منها فيهِ شعب منحوت باليد[3] هبطنا منهُ الى منبسط من الارض . والمدينة لا اسوار لها تحصنها الجبال المحدقة بها ويدخل اليها باربعة ابواب . وصاحب مكة من الاشراف وهو واحد من اربعة اخوة كان القتال دائمًا بينهم

وكان وصولنا الى مكة في الثامن عشر من شهر مايو فدخلناها من شمالها حيث هبطنا الى منبسط من الارض قبل دخولنا اليها . وفي الجانب الشرقي منها شعب في الجبل يسير فيهِ الحجاج الى الجبل الذي يخرون فيهِ الاضاحي يوم العيد و يبعد هذا الجبل عن مكة من ثمانية اميال الى عشرة وفي اعلاهُ مسجد لهُ ثلاثة ابواب[4] وفي صحنهِ مصنعان للماء احدهما للركب المصري والآخر للركب الشامي ويجتمع فيهما الماء من المطر ويجري اليهما من مسافة بعيدة

ولما وصلنا مكة وجدنا الركب المصري قد وصل قبلنا بثمانية ايام لان طريقهُ غير طريقنا وقد كان مع الحجاج المصريين ٦٤٠٠٠ جمل ومئة مملوك لحراستهم

والبلاد المحدقة بمكة قفر لا نبت فيهِ ولا شجر والماء قليل جدًا والزاد يجلب اليها من مصر

---

(١) البناء هو الحجر النبوية . وقد ورد ذكرهنَّ الكتب في رحلة ابن جبير قال : وبينها (اي الروضة الصغيرة) وبين القبر المقدس تحميل كبير مدهون عليهِ مصحف كبير في شناء متقل عليهِ هو أحد المصاحف الاربعة التي وجه بها عثمان بن عفان رضي الله عنهُ الى البلاد و بازاء المنصورة الى جهة الشرق خزانتان كبيرتان محشوتان على كتب ومصاحف موقوفة على المسجد المبارك . انتهى . وذكر برتن ان الكتب التي في المسجد كانت في ايامه محفوظة في خزانات كبيرة قرب باب السلام (٢) لم يدفن هناك من الصحابة غير ابي بكر وعمر والكتاب مختلفون في قبر فاطمة قال ابن جبير : ويقال هو قبرها والله اعلم بحقيقة ذلك

(٣) يظن برتن ان هذا الشعب هو ثنية كداء . والثنية الطريق في الجبل . وكداء هي التي عناها حسان بقولهِ (تنير النقع موعدها كداء) . قال الازرقي ان يحيى بن خالد البرمكي فتح هناك طريقًا في الصخر الصلد (٤) هي طريق الحجاج الى منى وعرفات . والجبل الذي ذكرَ جبل الرحمة والقضية في منى لا في الجبل كما ذكر . قال ابن جبير : وفي اعلى الجبل قبة تنسب الى ام سلمة رضي الله عنها ولا يعلم صحة ذلك وفي وسط القبة مسجد

واليمن والحبشة عن طريق جدة . ورأيت فيها كثيرين من حجاج الحبشة والهند وفارس والشام ولم ارَ قط جمعاً كبيراً من الناس كالذي رأيتهُ في الايام التي اقمتها هناك . والذين يقصدون مكة في زمن الحج ليسوا كلهم حجاجاً بل ان كثيرين منهم ياتونها للاتجار . ولها متاجر واسعة مع كثير من البلدان فيأتيها من الهند الكبرى الحجارة الكريمة والطيب والافاويه وتاتيها بعض الافاويه من الحبشة ايضاً وتجلب اليها امتعة القطن والحرير من مدينة بنغال

ثم وصف الكاتب الكعبة وغيرها من مشاهد مكة والطواف والاستغفار والتضحية وغير ذلك من شعائر الحج . ووصف حمام مكة وكثرة عددهِ وقال ان صيدهُ محرم وذكر انهُ رأى حريشين (١) في جانب من جوانب الحرم اعدهما سلطان زيلع الى صاحب مكة وقدم وصفها في الصفحة ٤٣٩ من المجلد الرابع والثلاثين من المقتطف . ثم وصف فرارهُ من مكة الى جدة فقال

اتفق انني خرجت لشتري بعض الحاجات لامير المماليك فرآني تاجر من اهالي مكة واخذ يتفرّس فيَّ ثم قال لي « انت منين (٢) » قلت انا مسلم قال « انت كذّاب » قلت « ورأس النبي انا مسلم » . قال « تعال الى بيتنا » فسرت معهُ فلم نكد نصل الى البيت حتى اخذ يكلمني بالايطالية واخبرني انهُ يعرف من اين جئت الى مكة واني لست مسلماً وانهُ سافر قبلاً الى جنوى والبندقية وايّد كلامهُ بالبرهان فلما سمعت ذلك منهُ قلت لهُ انني رجل من اهل رومية اتيت مصر وصرت فيها مملوكاً فلما سمع ذلك سُرَّ كثيراً واكرمني غاية الاكرام . ثم اخذت احدثهُ لعلي ارى من حديثهِ ما اتمكن بهِ من ايجاد سبيل الى الفرار فقلت لهُ ان كانت هذه مكة المشهورة بتجارها فاين الحجارة الكريمة التي فيها واين ما يجلب اليها من الامتعة والطيب . قلت لهُ ذلك لعلهُ يخبرني عن السبب الذي لاجلهِ لم تصل البضائع الى مكة كالمعتاد فاني لم أرد ان افاتحهُ باسم ملك البرتغال وانهُ كان السبب في ذلك . فاخذ يقص عليَّ حديث ملك البرتغال وانهُ كان السبب في منع التجارة عن مكة فاظهرت الحنق الشديد وانهلت بالسب والشتم على الملك حتى لا يظن ان تغلّب المسيحيين يسرني (٣) . فلما

(١) كركدنين وقد ذكرها بلفظ وحيد القرن (٢) نقلنا كلامهُ هنا كما هو فقد ذكر هذه الالفاظ العربية بحروف افرنجية (٣) كانت الحرب ناشبة في تلك الايام بين البرتغاليين والعرب . قال صاحب قرة العيون في اخبار اليمن الميمون في حوادث سنة ٩٠٨ « اي قبل وصول بارتيما الى مكة بسنة واحدة » « وفي هذه السنة ظهرت مراكب الافرنج في البحر بطريق الهند وعمرز وتلك النواحي واخذوا نحو سبعة مراكب وقتلوا اهلها » . وصاحب هذا التاريخ هو وجيه الدين عبد الرحمن بن علي الزبيدي توفي سنة ٩٤٤ فتكون هذه الحوادث قد حدثت في ايامهِ . وقد ذكر في تاريخهِ الوقائع التي جرت بين الشريف بركات واخوتهِ وهم هزّاع وابجاوالي وحيضة وكانت الحرب سجالاً بينهم الى ان قتل الشريف ابجاوالي عند باب الكعبة قتلهُ جماعة من الترك وولي اخوهُ حيضة ثم عاد الشريف بركات وتولى مكة مرة ثانية .

رأى اني اظهرت العداء للمسيحيين زاد في اكرامي فقلت له هل لك ان تخلصني وتجد لي بابًا للهرب من مكة حتى لا اعود مع الركب لاني احب ان اتصل باعداء المسيحيين لانهم اذا عرفوا مقدرتي بحثوا عني واخذوني ولو كنت في مكة قال وما تقدر ان تفعله لاعداء المسيحيين قلت اني ابرع الناس في عمل المدافع فلما سمع ذلك قال اني احمد الله الذي ارسل رجلاً مثلك لنصرة المسلمين . ثم اتفقنا على ان يخبئني في بيته وانا اتوسط له لدى امير المماليك فيخرج له من مكة ١٥ جملاً محملة طيوبًا فيتخلص بذلك من الجعل الذي كان عليه ان يدفعه الى امير مكة وهو ٣ اشرفيًا . وقبل خروج الركب الشامي من مكة بيوم خبأني في بيته فكنت وانا مختبئ عنده اسمع المنادين وقد خرجوا قبل الفجر بساعتين ومعهم الطبول والابواق وهم يدعون المماليك الى الرحيل ويقولون ان كل من تخلف منهم جزاؤه القتل فوقع الرعب في قلبي واخذت اتوسل الى امرأة التاجر ان تحميني . وسافر الركب وسافر التاجر معه واوصى امرأته ان ترسلني مع قافلة الهند السائرة الى جدة . وان لساني ليقصر عن وصف ما لقيته من الاكرام من هذه السيدة وابنة اخيها البالغة من العمر خمس عشرة سنة وقد رغبتاني في البقاء في مكة لكنني امتنعت عن ذلك خوفًا فودعت السيدتين وهما تذرفان الدمع وسافرت مع القافلة الى جدة . ولما انتصف الليل التحنا في قرية على الطريق[1] وبقينا فيها الى منتصف النهار وسرنا منها الى جدة فدخلناها قرب منتصف الليل

وجدة لا سور لها وبيوتها حسنة البناء مثل بيوتنا ومتاجرها واسعة لكثرة ما يأتي اليها من المسلمين . اما المسيحيون واليهود فلا يسمح لهم بالدخول اليها . ولما وصلت المدينة اسرعت الى احد المساجد وكان فيه نحو ٢٥٠٠٠ رجل من فقراء الحجاج فاخذت في احدى زواياه وكنت في النهار اضطجع على الارض واكثر من الانين كاني في اشد الالم لكان التجار الذين يدخلون المسجد يقولون من هذا الرجل فيجيبهم الفقراء هو رجل في نزاع الموت . وكنت اذا جن الليل اخرج من مضجعي متخفيًا فاشتري ما اسد به الرمق ثم اعود الى المسجد وبقيت على ذلك ١٤ يومًا . واخبر جدة من اخوة الشريف بركات صاحب مكة . والبلاد هناك قاحلة لا تنبت شيئًا وماء المدينة قليل جدًا لكن فيها كل لوازم المعيشة تجلب اليها من مصر واليمن وغيرهما من البلدان والامراض كثيرة بها لان هواءها وبيل على ما يقال

ولقيت هناك ربانًا اتفقت معه على ان يحملني في مركبه الى بلاد الفرس . والسفن كثيرة في جدة فقد كان في ميناها نحو مئة منها . ولما اقلعنا سرنا يومنا الى ان غابت الشمس فرسا بنا

(١) في جدة بضم الجيم المهملة قرية في نصف الطريق بين مكة وجدة

المركب ثم اقلعنا في الصباح الى ان نحيم الظلام وهذا كان دأبنا في السير لان ملاحة البحر الاحمر لا تخلو من اخطار لكثرة ما فيهِ من الجزر والصخور فكان النوتية يقيمون رجلاً في رأس السارية يشرف على طريق البحر[1]. وما زلنا نسير نهاراً ونقف ليلاً الى ان وصلنا الى جزيرة قران فكان السير بعدها متواصلاً لا ينقطع . وبعد مسير ستة ايام (من جدة) وصلنا الى مدينة تدعى جيزان وجدنا في مرساها خمساً واربعين سفينة لشعوب مختلفة . والمدينة على ساحل البحر وخيراتها كثيرة ففيها الضب والخوخ والسفرجل والرمان والثوم والبصل والجوز والبطيخ والورد والدراقن الزهري والتين والفرع والاترج والليمون والتاريخ الحامض فهي جنة من الجنان . واللحوم فيها كثيرة وكذلك الحبوب كالشعير والذرة البيضاء ويصنع من هذه الذرة نوع جيد من الخبز فاقمنا هناك ثلاثة ايام اشترينا فيها مؤونة السفر

ثم اقلعنا من جيزان وصرنا قرب الساحل جاعلين البر الى يسارنا وفي اثناء السير رأينا قرية فنزل منا اربعة عشر رجلاً لشترى بعض الحاجات فلما رآنا الاهالي اخذوا يرمونا بالمقاليع وكان عددهم نحو مئة رجل فنشب القتال بيننا وبينهم ولم يكن معهم من السلاح غير مقاليعهم فقتلنا منهم ٣٤ رجلاً وهرب الباقون ونهبنا ما قدرنا عليهِ من الدجاج والعجول والثيران وغير ذلك من المآكل واسرعنا الى المركب لان السكان جمعوا شملهم وعادوا الينا وكان عددهم قد زاد فصاروا ٦٠٠ رجل . ثم انحرفنا في المسير الى قران وهي جزيرة محيطها بين عشرة اميال واثني عشر ميلاً وفيها قرية عدد بيوتها نحو مئتي بيت اهلها مسلمون كلهم . واللحوم فيها كثيرة ومياهها عذبة والملح الذي يستخرج منها احسن ما رأيت من نوعهِ . ولما مررنا في الجهة المقابلة للبر على بعد ثمانية اميال منهُ . وصاحب الجزيرة امام اليمن وهو سلطان تلك البلاد

ثم اقلعنا من قران ووجهتنا بوغاز باب المندب فلما وصلنا اليهِ وجدناهُ ضيقاً جداً لا يزيد عرضهُ على الميلين او الثلاثة والبر على الساحل الايمن لا يرتفع اكثر من عشر خطوات وهو غير مسكون . اما البر على الجانب الايسر ففيهِ جبل مرتفع وفي الوسط جزيرة تدعى باب المندب[2] فالمراكب التي تسير الى زيلع تاخذ الطريق الايمن والمراكب التي تسير الى عدن تاخذ الايسر فسرنا على هذا الطريق جاعلين الجزيرة عن يميننا فوصلنا عدن بعد مسير يومين ونصف يوم

(١) قال ابن بطوطه وهذا البحر لا يسافر فيهِ بالليل لكثرة احجاره وانما يسافرون فيهِ من طلوع الشمس الى غروبها ويرسون ويتزلون الى البر فاذا كان الصباح صعدوا الى المركب . وهم يسمون رئيس المركب الربان ولا يزال ابداً في مقدم المركب بيده صاحب السكان (اي الدفة) على الاحجار

(٢) لقد اخطأ في تسمية الجزيرة باسم البوغاز . وهي جزيرة صغيرة من املاك بريطانيا يسميها الافرنج جزيرة بريم والعرب جزيرة ميون

الفصاحة وكتّاب العصر

ومن اغلاطهم قولهم « بلغ الخمسة آلاف » والصواب ان يقال خمسة آلاف او الخمسة آلافاً بالنصب على التمييز او الخمسة الآلاف

ومنها اتيانهم بـ « عن » بعد « عدا » كقولهم عدا عن ربحها . وهو مما لم يستعملهُ فصيح فالصواب ان يقال عدا ربحها باسقاط الجار

ومنها الاتيان بالاسم مرفوعاً بعد اسم الفعل « هاكَ » فيقولون مثلاً هاكَ الكتابان والصواب هاك الكتابين بالنصب لان هاك اسم فعل معناهُ خُذْ فيجب نصب مفعوله

ومنها استعمال التنكيت بمعنى الانتقاد وذلك كقولهم « كما ترى في تنكيتهِ على الوزراء » والصواب ان يقال « في انتقادهِ » لأنّ التنكيت مصدر نكّت الرُطَبَ اي بدا فيهِ الارطاب ونكّت في قولهِ تنكيتاً جاء بالنكت

ومنها استعمال الفاقع بمعنى الناصع وذلك كقولهم « وكانت ثيابهم فاقعة اللون » والصواب ان يقال ناصعة اللون والناصع الخالص الصافي من كل شيء

ومنها استعمال فُعَلاء وزان فَعلاء ولم ترد في معجمات اللغة

ومنها استعمال الحُزوبة بمعنى التحزّب ولم نقف عليها في كتب اهل اللسان

ومن اغلاطهم المعنوية قولهم فلان ككلّ اهل بلدتهِ والصواب كسائر اهل بلدتهِ والاّ فلا يستقيم المعنى لان المشبَّه واحد من المشبَّه بهم ثم يقال هذا الشاعر الشامي مثل كل الشعراء العراقيين اذ لا اختلال في المعنى

ومن غريب تراكيبهم قولهم « فارقهُ يعاقب بخمس سنوات سجناً » والتعبير الصحيح « فارقهُ يعاقب بالسجن خمس سنوات او يُسجن خمس سنين عقاباً لهُ »

ومن اوهامهم في المفردات استعمال تداولوا بمعنى تذاكروا وتفاوضوا وحقيقة التداول ان يكون الشيء بين فريقين فيأخذهُ هذا مرةً وهذا مرّة فيقولون « يتداولون في الشؤون التي تعود على الجنس الفلاني بالنفع » والصواب ان يقال فيتذاكرون او يتفاوضون الخ واستعمال التداول يصح في مثل تداولوا السلطة

ومن الاغلاط الفاضحة استعمال « تسآل » بمعنى سأل والسؤال لا يجيء بمعنى السؤال

ومنها استعمال « تكلف » متعدّياً بـ « الى » كقولهم « فتكلف حينئذٍ الى احضارها ثانية » والصواب ان يقال فتكلّف حينئذٍ احضارها بالنصب لانهُ مفعول تكلّف ولا يحتج

بقولهم في المثل « كلّفت اليك عرق القربة » لانهُ على تقدير كلّفت نفسي اليك عرق القربة فلا تكون « الى » من صلة كلّف

ومن الاغلاط التي لا تصرف لها وجهاً الاّ كسر الحكم تعمداً الاتيان بالممنوع من الصرف مصروفاً بغير موجب ما وذلك كقولهم أقلّ مقاطعاً

ومن صنف هذه الاغلاط ان بعضهم يقولون هذا مقام تقضّي وها باب تشفّي والصواب ان يقال تقضٍ وتشفٍ كما هو معلوم

ومن صنف هذه الاغلاط التي لا اراها الاّ متعمدة نصب بنات بالفتحة لا بالكسرة وذلك كقولهم رأيت صبياتاً وبناتاً فانهُ وارد في لغة ضعيفة مهجورة اذا جاز استعمالها ففي الضرورة لا في السعة - ومن الخطإ في الرسم كتابة الالف المبدلة من الهمزة بصورة الياء فيكتب بعضهم اوى وكافى والصواب ان تكتبا بالالف (أوما وكافا)

ومن اغلاطهم في التركيب ادخال « لو » على « مهما » نحو قولهم ولو مهما أُطلت الكلام فهو تركيب لم يُعهد لهُ مثيل في كلام البلغاء خلا ما فيهِ من الفصل بين لو والفعل

ومنها استعمال الأجفان بمعنى الجفان نحو قولهم وذكر اجفانهُ التي يوضع فيها الطعام والصواب ان يقال جفانهُ لانهُ جمع جَفْنة واما الاجفان فجمع جَفن كما لا يخفى

ومنها استعمال الكَسُول بمعنى الكسل والكسلان وهو وصف للمرأة المنعّمة التي لا تكاد تبرح من مجلسها وهو مدح لها مثل نؤوم الضحى

ومنها استعمال الفداحة ولم تعثر عليها في المعجمات المتداولة ولم تعلم فدُح من باب كَرُم والمأثور في كتب اهل اللسان « فدح الامرُ والحمل والدين زيداً من حدّ منع فدْحاً : أثقلهُ وعالهُ وبهظهُ »

ومنها استعمال الدعيمة فيقولون اوطد دعيمة والصواب اوطد دعامة او دِعمة

ومنها استعمال احتار كقولهم احترتُ في الانتخاب لكثرة المواضيع

ومنها استعمال المكدّ بمعنى الكادّ كقولهم تأمّلت الرجل المكدّ والصواب ان يقال الكادّ لان معنى المكِدّ الممسك والبخيل

ومنها قولهم المسيّدات عوض المسوّدات مع انهُ من سادَ يسود وهو واوي

ومنها استعمال الزيجة والصواب الزواج لان الزيجة مما لم يرد في كلام الفصحاء

بيروت سعيد الخوري الشرتوني

اللغة العربية والطب

(تابع ما قبلهُ)

(الحِوَلاء والحُوَلاء) جاء في المخصص لابن سيده ج ١ ص ٢٤ « الحِوَلاء والحُولاء . جلدة تخرج مع الولد فيها ماء وخطوط حمر وخضر » ويوافق ذلك بالانكليزية (Amnion) اي (الامنيون او الامنيوس) وهو الغشاء الباطني للجنين

(الفضول) في اقرب الموارد « فضول البدن عند الاطباء : ما يخرج من منافذه خروجاً طبيعياً كالبول والعرق والريق والمني » وهي في الانكليزية (Excreta or Excretion) اي الافرازات التي تخرج من الجسم

(السدر) في اقرب الموارد « صدر الرجل سدَراً وصدارة : تحير والبعير تحير بصرهُ من شدة الحر فلم يكد يبصر » ويوافق ذلك (Dazzling) اي (الزغللة) التي تشاهد في بعض امراض العين

(الفسر) في اقرب الموارد « وفسر الطبيب فسراً وتفسرة : نظر الى بول المريض ليستدل بهِ على شيء من امرهِ قال الجوهري واظنهُ مولداً » ويوافق ذلك في الانكليزية (Examination of urine) وجاء فيهِ ايضاً « التفسرة ماء المريض يستدل بهِ على علتهِ وقيل هي القارورة التي فيها بول المريض ليعرض على الطبيب وتسمى دليلاً ايضاً لانها تظهر للطبيب احوال المرض البدنية يقال نظر الطبيب في تفسرة المريض » وهي في الانكليزية (Specimen of urine)

(الدرداقس) جاء في اقرب الموارد تحت مادة درقس « الدرداقس عظم يصل بين الرأس والعنق رومي » ولعل هذه الكلمة توافق (Atlas) اي الاطلس او الحاملة وهي الفقرة العنقية الاولى

(القروت) في اقرب الموارد « قرت الدم قروتاً يبس بعضهُ على بعض » ويماثل في الانكليزية (Coagulation of blood) اي تجمد الدم

(الدَعْث) في اقرب الموارد « الدعث كقلب اول المرض » وفيهِ ايضاً « دُعث الرجل بالبناء للمفعول اصابهُ اقشعرار وفتور » ولعل هذه الكلمة تماثل (Invasion) اي دور الهجوم من الامراض وهو الدور الذي تبتدىء فيهِ الامراض وترتفع الحرارة ويحدث الاقشعرار والفتور وآلام الرأس وخلافهُ

(الحدبة) في اقرب الموارد « الحدبة خروج الظهر ودخول الصدر والبطن » وذلك هو (Kyphosis) وهو نشوء في العمود الفقاري يتحدب فيه الظهر

(الفحامة والقحومة) جاء في اقرب الموارد « الفحامة والقحومة الكبر في السن جدًّا وهما مصدران لا فعل لها » وهو (Senility) اي الشيخوخة

(الصدفتان) في اقرب الموارد « الصدفتان النقرتان اللتان فيهما مغرس رأس الفخذين وفيهما عصبة الى رأسهما » وهذه الصدفة او النقرة هي ما يسمى في الطب (Acetabulum) اي الحق الحرقفي

الدكتور محمد عبد الحميد

معجم الحيوان

العظاءة والعظاية · السحلية

Lacerta. E. common lizard F. Lézard commun

ضرب من الزحافات ملساء اصغر من الحرذون تصدو وتتردد كثيراً وتعرف في مصر وبعض انحاء فلسطين بالسحلية وفي الشام بالسقاية · والعظاء اجناس وانواع كثيرة

وهذا بعض ما جاء عن العظاء في المؤلفات العربية · قال الدميري « العظاءة دويبة اكبر من الوزغة ويقال عظاية ايضاً ... قال الازهري هي دويبة ملساء تصدو وتتردد كثيراً تشبه سام ابرص الاّ انها احسن منهُ ولا تؤذي وتسمى شحمة الارض وشحمة الرمل وهي انواعٌ كثيرة منها الابيض والاحمر والاصفر والاخضر وكلها منقطة بالسواد وهذه الالوان بحسب مساكنها فان منها ما يسكن الرمال ومنها ما يسكن قريباً من الماء والعشب ومنها ما يألف الناس ... ومن طبعها محبة الشمس ... وتمشي مشياً سريعاً ثم تقف ... وتسمى بارض مصر السحلية » · وقال في حرف السين « السحلية العظاية »

وقال ابن سيده « العظاية مثل الاصبع صحراء تجراء تكون ذكراً وشبراً وثلثاً وهي سمٌّ عامتها ومنها ذوات لا تضير شيئاً وهي التي في الحشوش تبرق ولا تُقتل ولكن الاوزاغ تُقتل » · وقد مرّ بنا ان الاوزاغ والعظاء لا سمّ فيها غير ان علماء اليونان والرومان كانوا يعتقدون ان ضرباً من العظاء سام وهو المسمى خلقيس باليونانية وسنس باللاتينية وقد ذكره ابن البيطار في مادة عظاية قال « العظاية حيوان من جنس الخرذين يشبه الوزغ ... ويسقور يدس في الثانية سبس ومن الناس من يسميه خلقيدقي صوراً اي صورا

الذي من المدينة التي يقال لها خلقيس اذا شرب بشراب ابراً من نهشتهُ » . وقد ترجمها لكلار Seps وقال لا ادري ما هو هذا الحيوان . وفي المفردات ايضاً « سالامندرا وهي السحلية » كذا في النسخة المصرية وفي نسخة لكلار « وهي العضاية » . قال لكلار العضاية لا وجود لها في كتب اللغة لكنها معروفة فان القزويني افرد لها باباً على حدة . انتهى قول ابن البيطار والدكتور لكلار . اما الحيوان المسمى سپس عند القدماء فهو ضرب من العظاء يسمى الآن (Chalcides tridactylus) ومن انواع الحكاء وسيأتي ذكرها . والسالامندرا هي السمندل لا السحلية كما جاء في المفردات . وقول لكلار ان القزويني افرد باباً للعضاية صحيح لكن صوابها العظاية بالظاء المعجمة ورودها كما ذكر من اغلاط النساخ . وهي العضاية في قانون ابن سينا المطبوع في رومية وصوابها العظاية . وقد ورد ذكر العضا في رحلة السر رتشارد برون رآهُ في السودان ووصفهُ وصفاً ينطبق على السقنقور كما حقق ذلك الاستاذ اندرسن صاحب كتاب زحافات مصر . وذكر اندرسن انهُ لم يسمع هذه اللفظة اي (dudda) التي ذكرها برون . اقول وربما كان صوابها العظاء ولا يستبعد ان برون سمعها في السودان فان بعض الاعراب يطلقون هذه اللفظة على كثير من الزحافات كما جاء في كتاب الحيوان للجاحظ قال (١ : ٦٦) «سمعت اعرابياً يقول لاخير في العظاءة وان كان ضباً مكوناً قال فاذاً صام ابرص والورل والوحر والضب والحكاء كلها عندهُ عظاءة »

فيتضح مما تقدم ان العظاءة هي هذه الدويبة المعروفة بالسحلية في مصر والسقاية في الشام وهي اجناس كثيرة منها الحكاء وشحمة الرمل والحكاءة والعسود وسيذكر كل منها على حدة

بنات النقا . شحمة الرمل . الدسّاسة . الأملوك . الحُلكة والحُكة والحلكى وفيها لغات غير هذه Chalcides

ضربٌ من العظاء تكون في الرمل وتغوص فيهِ كما يغوص السمك في الماء وهي جميلة المنظر قصيرة اليدين والرجلين وتسمى الدفانة في مصر . وفي كتب اللغة والمؤلفات العربية اقوال كثيرة فيها اذكر بعضها

شحمة الارض وشحمة الرمل . قال الجاحظ (٦ : ١١٩) « ومما يغوص في الرمل ويسبح فيهِ سباحة السمكة في الماء شحمة الرمل وهي شحمة الارض بيضاء حسنة يشبه بها كف المرأة وقال ذو الرمة في تشبيه البنان بها

خراعيب امثال كأنَّ بنانها بنات النقا تختي سراراً وتظهرُ

وقال ابو سليمان الفتوي هي اعرض من العظاءة بيضاء منقطة بحمرة وصفرة احسن دواب الارض» . وقال ابن سيده «شحمة الارض من العظاء وهي بيضاء غير ضخمة وقيل ليست من العظاء هي احسن منها واطيب هي مثل قطعة الديف (اي الشحم) . وبنات النقا يدخلن في الرمل و يقال لهن شحم النقا ويقال لها شحمة الارض . صاحب العين شحمة الارض دودة بيضاء» . وفي التاج «وشحمة الارض دودة بيضاء او هي من الخراطين (Lombrics) او هي عظاءة بيضاء غير ضخمة وقيل ليست من العظاء هي اطيب واحسن وقالوا شحمة النقا كما قالوا بنات النقا» . وفي لسان العرب مثل ذلك تقريباً . وفي مفردات ابن البيطار «شحمة الارض هي الخراطين» . فتجد انهم اطلقوا هذين الاسمين اي شحمة الارض وشحمة الرمل على الخراطين وعلى ضرب من العظاء وارى ان شحمة الارض هي من الخراطين كما قال ابن البيطار وشحمة الرمل هي هذه العظاءة البيضاء التي تندس في الرمل .

الدسّاسة . جاء في تاج العروس «الدساسة شحمة الارض وهي العنة قال الازهري وتسميها العرب الحلكة وبنات النقا تغوص في الرمل كما يغوص الحوت في الماء وبها شبه من بنات (بنان) المذارى» . وفي المخصص ما يأتي «واما الدساسة فمثل العظاية لم تر شحماً قط انما هي مندسة في التراب في سهول الارض ترى للشمس فيها شعاعاً لياضها وبريقها . وقيل الدساسة العنة . وقيل الدساسة وبنات النقا سواء تغوص في الرمل كما يغوص السمك في الماء وهي بيض لا اذان لها . والساه يتخذنها للسمنة» . وقال اندرسن في كتاب رحلاته مصر صفحة ٢٣٨ «سمعت في مصر اسمين لهذه الحية (Eryx) الاول الدسّاس وهو اكثرهما شيوعاً وقد جاء في كتب اللغة العربية ان الدساس حية خبيثة والدساسة دودة تكون في التراب . وقيل لي انهم يسمون هذه الحية في مصر الدفانة ايضاً وهو عندهم من اسماء العظاية السياة (Chalcides) فلا بد من بحث مدقق في هذه الالفاظ»

الحلكة والحلكاء والحكة . وفيها لغات غير هذه وهاك ملخص ما جاء عنها في حياة الحيوان . تغوص في الرمل كما يغوص طير الماء في الماء . او دويبة كأنها سمكة تكون في الرمل فاذا احست بالانسان دارت في الرمل وغاصت فيه . او دويبة ملساء كأنها شحمة مشربة بحمرة . وقال الماوردي الحكاء تشبه السمك وهي عريضة من اعلى دقيقة من اسفل . وقال ابن السكيت الحكة دويبة شبيهة بالعظاءة زرقاء تبرق وليس لها ذنب طويل كالعظاءة وقوائمها خفية . وقال غيره هي دويبة مثل الاصبع تجري في الرمل ثم تغوص فيه وهذا

يقوّي قول الجوهري انها مقلوبة من الحلكة لانهُ فسرها بهذا فعلى ما قالهُ الازهري من كونها سلساة كأنها شحمة مشربة بحمرة حسن تشبيه العرب اصابع النساء بها الاّ ان الاشتقاق لا يساعدهُ لان الحلكة في ما يظهر شدة السواد مأخوذ من قولهم اسود حالك ولما كانت زرقاء لشدة سوادها سموها بهذا الاسم والعرب تسميها بنات النقا لانها تسكن نقيات الرمل »

العَنَم والعَنَمة . جاء في تاج العروس « العنمة ضرب من الوزغ عن الليث وردهُ الازهري وقال غير صحيح وقيل هي كالعظاية الاّ انها اشد بياضاً منها واحسن » . وفيهِ ايضاً العَنَم شجرة حجازية لها ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب او اغصان تنبت في سوق العضاه رطبة لا تشبه سائر اغصانهِ احمر اللون لتفرق اعالي نورهُ باربع فرق كأنهُ قتن من اراكة يخرجن في الشتاء والقيظ . . . . وفي كتاب النبات شجرة صغيرة تنبت في جوف السمرة لها ثمر احمر . . . . وقول النابغة

مخضب رخص كأن بنانهُ عنم على اغصانهِ لم يعقد

يدل على انهُ نبت لا دود الخ » . والقول الاخير هو الصحيح وسواء كانت رواية البيت كما في التاج او كما في بعض دواوين النابغة اي « عنمٌ يكاد من اللطافة يعقد » فالعنم نبت لا دود وقد وصفهُ ابن البيطار وصفاً مدققاً لم يبقَ بعدهُ شبهة انهُ ضرب من النباتات الحلية (Parasites) وهو نوع من الدابوق (Mistletoe) المشهور عند الانكليز وقد اصاب لكلار في قولهِ انهُ (Espèce de gui) واظنهُ المسمى عند علماء النبات (Loranthus acaciæ) ذكرهُ الدكتور بوست في كتاب نبات سورية وفلسطين وقال انهُ ينبت على العنّاب والسدر والاقاليا (اي الطلح والسمر والسلم وما اشبه) قرب بحر الميت وفي غور الاردن وسوآب والخليل والعرّبة لكنهُ لم يذكر اسمهُ العربي . وقولهم انهُ دود او ضرب من العظاء مبنيٌ ان العرب كانت تشبه بنان العذارى بالاساريع اي دود البقل (Caterpillar) وبنات النقا التي مرّ ذكرها وبالعنم فالتبست هذه الاسماء على بعضهم وقالوا ان العنم دود او ضرب من العظاء

❖ الحكاءة والحكاء ❖ Mabuia quinquetæniata « ضرب من العظاء وهنّ مخططات بسواد » (المخصّص) وربما كانت هذه العظاءة المعروفة في مصر بالسحلية الحضاري وهذا خمسة خطوط سود على ظهرها كما يدل عليها اسمها النوعي

بنات النقا Chalcides

نقلاً عن صورة ملوّنة في كتاب زحّافات مصر لاندرسن

الدسّاس Eryx jaculus

﴿ ام الحيّات . رضّاعة البقر ﴾ Eumeces ضرب من العظاء وهي شبيهة بالسنقور عظيمة ضخمة يضرب لونها الى الصفرة وتعرف بهذين الاسمين في مصر (اندرسن)

ومن انواع العظاء الوَحَرة والعسود والجندب وغيرها ووصفها مضطرب جدًّا في كتب اللغة فضربت صفحًا عنها

﴿ الأصلة . التنين البرّي ﴾ Python. E. & F. Python ضرب من الحيات كبير جدًّا يعرف في السودان الى ايامنا بالأصلة وقد سمعتها كثيراً . ووصف الاصلة مضطرب في كتب اللغة . قال في لسان العرب « الاصلة حية قصيرة كالرئة حمراء ليست بشديدة الحمرة لها رجل واحدة تقوم عليها وتساور الانسان وتنفخ فلا تصيب شيئًا بنفختها الاّ اهلكتهُ . وقيل هي مثل الرحا مستديرة حمراء لا تمس شجرة ولا عوداً الاّ متهُ ليست بشديدة الحمرة لها قائمة تخط بها في الارض وتطحن طحن الرحا . وقيل الاصلة حية صغيرة تكون في الرمال لونها كلون الرئة . . . . وقيل الاصلة الحية العظيمة وفي الحديث في ذكر الدجال « اعور جعد كان رأسهُ اصلة » قال ابن الانباري الاصلة الافعى وقيل حية ضخمة عظيمة قصيرة الجسم تثب على الفارس فتقتلهُ فشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس الدجال بها لعظمهِ واستدارتهِ وفي الاصلة مع عظمها استدارة وانشد

فاقدر لهُ أصلةً من الاصل كبساء كالقُرصة او خُفت الجَمَل

لها صحيف وفحيح وزَجَل

الصحيف صوت جلدها والفحيح من فمها والكبساء العظيمة الرأس » . انتهى . وارى ان القول الاخير هو الصواب اي ان الأصلة حية ضخمة عظيمة . والاصلة في المخصص « حية مثل الرحا مستديرة حمراء لا تمس شجرة ولا عوداً الاّ متهُ ليست بشديدة الحمرة تخط بذنبها في الارض ويقال هي من دواهي الحيات وهي قصيرة عريضة » ووصفها في حياة الحيوان مثل وصفها في لسان العرب تقريباً (انظر الحية والاصلة في حياة الحيوان) وقال الجاحظ (٤ : ٥٢) « والاعراب تقول في الاصلة قولاً عجيباً تزعم ان الحية التي يقال لها الاصلة لا تمر بشيء الاّ احترق مع نهار يل كثيرة واحاديث شنيعة »

اما التنين البري فهو الاصلة ايضاً . قال ابن سينا « التنين البرّي ونحوهُ من الحيات الكبار الجثث . وقالوا اصغر اصناف التنانين على ما ذكرهُ بعضهم خمسة اذرع واما الكبار فتكون من ثلاثين ذراعًا الى ما فوق ذلك . قالوا وتكون للتنين عينان كبيرتان وبحت الفك

الاسفل نتوٌ كالذقن وتكون لهُ انياب كثيرة . قال قوم انها تكثر في ناحية النوبة والهند . والهندية اكبر »

والاصلة كما مرّ لا تزال تعرف بهذا الاسم في السودان واذا مشت تخط في الارض كما جاء في لسان العرب واذا رَحَت اي استدارت على نفسها تصير مثل الرحا وهي ضخمة عظيمة قد يبلغ طولها ٢٣ قدماً . ولونها ضارب الى الحمرة واسمها العلمي (Python sebæ) اي اصلة سبا ولا يستبعد ان تكون في بلاد العرب ايضاً

﴿ الدَّسَّاس . النكّاز . الأعيّج ﴾ Eryx. E. Sand boa or sand snake حية قصيرة حمراء ليست شديدة الحمرة قصيرة الذنب محددة الطرفين تكون في الرمال وتندس فيها وهي ليست من ذوات السموم

وقد مرّ بنا ان الدسّاسة غير الدساس فهي ضرب من الظباء وقد مرّ وصفها والدساس ضرب من الحيات كما جاء في كتب اللغة لكنها لاسمّ فيها كما ذكروا وقد اشار الجاحظ الى ذلك . وفي مجلة المشرق مقالة للاب انستاس الكرملي (٣ : ٣٤٧) ذكر فيها الدساس وقال ان اللفظة معرّب دبساس باليونانية ورد عليهِ الاب مخائيل حويس (٤ : ٧٥) وقال ان الدساس عربية لان الحية المسماة دبساس عند اليونان غير الدساس المعروفة عند العرب وهو صحيح فلجاب الاب انستاس ان ذلك لا يتخذ حجة على ان اللفظة غير يونانية وهو صحيح ايضاً على اني ارى ان اللفظة عربية لانطباقها على صفة هذه الحية المعروفة بالدساس في مصر سميت بذلك لانها تندس في الرمال ولأنهم قالوا ايضاً الدسّاسة لشحمة الرمل المعروفة بالدفاقة في مصر وقد مرّ ذكرها فاللفظتان اشتقاقها واحد . اما دبساس اليونانية فقد ذكرها ابن سينا وسماها المعطشة وهي ترجمة الاسم اليوناني وهو لم يذكر الاّ ذوات السموم من الحيات او التي ظن انها من ذوات السموم فذكر المعطشة ولم يذكر الدساس

ولا شبهة ان الدساس المذكورة في كتب اللغة والمؤلفات العربية هي الدساس المعروفة في مصر . وفي هذه البلاد نوعان منها اشهرها المسمى (Eryx jaculus) ارسلت من اسنك لي حية منهُ فاهديتها الى الكابتن فلور مدير حديقة الجيزة فكتب اليّ وذكر اسمها العربي وهو الدسّاس واسمها العلمي وهو (Eryx jaculus) وهي الدسّاس ايضاً في كتاب زحافات مصر لاندرسن اي انهُ سماها الدساس بالعربية

ولنأتِ الآن على ذكر بعض ما جاء عن الدساس . قال الجاحظ (٦ : ١٠) « ولو كانت

الدسّاس من اصناف الحيات لم نخصها من بينها بالذكر ولكنها وان كانت على قالب الحيات وخرطها وأفرغت كافراغها وعلى عمود صورها دون خصائصها كما يناسبها في ذلك الخنّاث والعربد وليسا من الحيات كما ان هذا ليس من الحيات لان الدساس ممسوحة الاذن وهي مع ذلك مما يلد ولا يبيض والمعروف في ذلك ان الولادة هي في الاشراف والبيض في المسرح. وقد زعم ناس ان الولادة لا تخرج الدساس من اسم الحية .... وزعم لي ابن ابي العجوز ان الدساس تلد .... وذكروا انها تنهش وتعض ولا تقتل ولم اكتب هذا للتقوية ولكنها اية احببت ان تسمعها ولا يعجبني الاقرار بهذا الخبر وكذلك لا يعجبني الانكار له ولكن ليكن قلبك الى انكاره اميل » . والغريب ان الجاحظ ذكر ان الافعى تلد ولم يخرجها من الحيات فلا ادري كيف اخرج الدساس من الحيات للسبب نفسه . اما قوله انها لا تقتل فصحيح لان الدساس ليست من ذوات السموم لكنني لم اتحقق امر ولادتها فربما كانت ولوداً كبعض الافاعي (١)

وجاء في تاج العروس « الدسّاس حية خبيثة احمر كالدم محدد الطرفين لا يدرى ايهما رأسهُ غليظ الجلدة (لا) يأخذ فيهِ الضرب وليس بالضخم غليظ وهي النكاز ... وقال ابو عمر الدسّاس في الحيات هو الذي لا يدرى اي طرفيهِ رأسهُ وهو اخبث الحيات يندس في التراب فلا يظهر للشمس وهو على لون القاب من الذهب المحلّى » . وفي المخصّص « الأُعيرج والدسّاس حية احمر كالدم محدّد الطرفين لا يدرى ايهما رأسهُ غليظ الجلد لا يأخذ فيهِ الضرب غليظ ليس بالضخم وهو النكاز سمي نكازاً لانهُ يطعن بانفهِ وليس لهُ فم بعض بهِ »

وجاء في كتاب زحّافات مصر لاندرسن ان الحية المسماة (Eryx) تدعى في مصر الدسّاس وبعضهم يقول حية دفّانة . وهاك وصف الدسّاس المصري (Eryx jaculus) في المؤلفات الحديثة : هي حية قصيرة حمراء اللون او بين النبرة والحمرة او ضاربة الى الصفرة ومبقعة بالسواد مساكنها الرمال تندس فيها وهي قصيرة الذنب والحواة يقطعون ذنبها احياناً فيصير مثل رأسها لذلك يزعم الناس انها برأسين

الدكتور
امين المعلوف

(١) يمكن عن الجاحظ انهُ صنف كتاباً في ما يبيض ويلد من الحيوانات فاوسع لقهرة ذلك فقال لهُ اجرائي يجمع ذلك كلهُ كلمان كل اذون ولود وكل صموت بوض

نبأ من اليابان

لا شبهة في ان ظهور اليابان وتفوقها نبَّها كلَّ ابناء المشرق من سباتهم الذي مرَّت عليهِ الدهور فقال اصحاب الاماني ان كل ما تيسَّر لتلك الامة الشرقية يجب ان يتيسَّر لغيرها من الامم وقال الذين يبنون احكامهم على الاستقراء والقياس ان الذين يأخذون منا مأخذ اليابانيين ويجرون في خطتهم يبلغون شأوهم او ما يدانيهِ حسب استعدادهم الفطري

وقد مرَّت السنون ونحن نشيم كل بارق يبدو من جهة اليابان اغراء لقراء المقتطف باتِّباع خطة تلك الامة النشيطة في ما آل الى فلاحها . وقد عثرنا الآن على مقالة لاحد مصوريهم وصف فيها ما لقيهُ من المشاق حينما قصد اميركا للتعلُّم فيها فرأينا ان نقتطف منها ما يلي لعلَّهُ يكون عبرة لشبابنا الذين يطلبون المعالي ويصدهم الفقر . قال الكاتب

وصلت السفينة بنا الى شاطئ اميركا الغربي (الباب الذهبي) في الخامس عشر من يوليو سنة ١٨٩٣ وانا في جملة ركابها المهاجرين الاصيوبين اي الصينيين واليابانيين الذين يقصدون اميركا للتعيش وكان قانون دخول المهاجرين الى اميركا الذي سُنَّ حينئذٍ يقضي بان يكون مع كلٍّ منهم مئة ريال على الاقل ولم يكن معي حينما ركبت البحر سوى عشرين ريالاً وقد صرفت ثلاثة عشر منها في هونولو فقلقت لذلك قلقاً شديداً وخفت ان أُمنع من دخول البلاد واطلعت بعض رفاقي على هذا الامر فقالوا لي لا تقلق لانك لستَ من العمال والقانون انما وضع لاجلهم . واشار عليَّ بعضهم ان ادَّعي ان معي مئات من الريالات ولكنني بعثت بها امامي الى بنك في سان فرنسسكو . اما انا فكنت اكره الكذب واذا حاولتهُ فوجهي ينمُّ عليَّ . ولما لم ارَ لي منقذاً ضاقت الدنيا في عينيَّ وخنقتني العبرات فشفق عليَّ واحد من كبراء اليابانيين واسمهُ المستر صودا وقال انهُ يذهب معي الى المأمور المكلف برؤية ما مع المهاجرين من النقود ويقول لهُ انني من اصدقائهِ وانهُ اذا كان لا بدَّ من ان يكون معي مئة ريال فهو يريهِ هذا المبلغ كأنهُ لي . ففرَّج كلامهُ كربتي وشعرت كأنني لقيت بوذه في الجحيم

وليلة الرابع عشر من يوليو قام الركاب كلهم متوقعين الوصول الى البر وكنت اشدهم قلقاً فلم يغمض لي جفن تلك الليلة وبعد منتصف الليل رأيت بعض التلال والانوار الكهربائية فعلمت اننا دنونا من سان فرنسسكو المدينة التي كنت اقصدها فخفق فؤادي وشعرت كأنني دنوت من نيل مرادي ولكن لم يكن الاَّ قليل حتى اكتنفنا ضباب كثيف

فلم نعد نرى شيئاً ووقفت آلات سفينتنا عن الحركة وبقيت بضع ساعات قبلما انقشع الضباب. ونحو الساعة العاشرة عادت السفينة تسير الهوينا ورأينا العمال ينقلون الفحم من السفن الى القوارب وقد سوّد غبار الفحم وجوههم فالتفت المستر صودا اليّ وقال لي لا بدّ لك من ان تعمل مثلهم فان هذا هو العمل الذي ينتظرك. فقلت على الرحب والسعة فاني مستعد لكل عمل. ولم اكن اعلم حينئذٍ ان تلك الشجاعة قصيرة الاقامة وانني سألاقي من المشاق اضعاف ما يلاقيه اولئك العمال فانهم كانوا يعاملون كأنهم بشرٌ رغماً عن اسوداد وجوههم وايديهم اما اليابانيون فلا يعاملون معاملة البشر واني التمس من القارىء صبراً حتى يقف على خاتمة قصتي و يرى صدق قولي

وصلت السفينة الى الرصيف وصفّ مئات من الصينيين على ظهرها كأنهم قطعان الغنم وفيهم رجل اعرفهُ من الوجهاء اسمهُ هان تسوجي لون وكان بانقر ثيابهِ الحريرية وجاء مأمورو الفحص وجعلوا يسمون ظهورهم بالطباشير ووسموا ظهرهُ ايضاً وهم يشتمونهم و يرفسونهم بارجلهم كانهم من خشاش الارض. فدهشت من ذلك لانني لم ارَ في حياتي احداً يعامل الناس هذه المعاملة بل الراعي ارأف بغرافهِ من اولئك المأمورين بالمهاجرين الصينيين وتقدمت من هان تسوجي لون وقلت لهُ اني لا اطيق ان اراك تعامَل هذه المعاملة فهزّ رأسهُ وقال بانكليزية مكسرة ان هذا شأن كل الاسيركيين. ثم اخذ ورقة من جيبهِ وكتب عليها عنوانهُ والشارع الذي يسكن فيهِ وطلب مني ان ازوره. ودنا منا حينئذٍ احد المأمورين وقال لي ما شأنك يا ياباني مع هذا الصيني قال ذلك ودفعني بيدهِ فاشتدّ بي الخنق حتى كاد يخنقني وقلت في نفسي لقد اخطأت في حسباني اميركا من اكثر البلدان تمدّناً فاني ارى سكانها من اكثر الناس توحّشاً

وجاء المستر صودا حينئذٍ وقال لي يجب ان تذهب الى تلك الغرفة لتفتّش فيها قال ذلك ومشى امامي فتبعتهُ ووجدت في الغرفة مأموراً اميركياً وترجماناً واثنين من اليابانيين احدهما المستر شندا قنصل اليابان وكان معي كتاب توصية لهُ. فقال لي المأمور ما هو غرضك من المجيء الى اميركا. فاجبتهُ بالانكليزية الدرس.

فقال اتعرف احداً في سان فرنسسكو فقلت كلاً ولكن معي كتاب توصية الى قنصل اليابان. واخرجت الكتاب من جيبي لاعطيهُ للمستر شندا لكن المستر شندا اومأ اليّ ان لا افعل ففهمت اشارتهُ وارجعت الكتاب الى جيبي فقال المأمور «ادخل» اي لجاز لي دخول اميركا فسررت بذلك. وسار المستر صودا امامي ونزل الى البر ودخل مركبة واشار

اليَّ لاتبعهُ فتبعتهُ وسرنا الى محل الرسالة اليابانية ورأيت هناك كثيرين من الشبان اليابانيين يتكلمون عن الاعمال التي كانوا يتعاطونها وكلها من نوع الخدمة في البيوت مثل الطبخ والغسل وما اشبه فعرتني الدهشة وجلست على كرسي في زاوية كاسف البال . فدنا مني واحد من اولئك الشبان وقال لي أظنك جديداً فيجب عليك ان تنهض الآن وتجد عملاً تعمل بهِ والاَّ مت جوعاً متى جاء فصل المطر والبرد . فقلت لهُ ألا يمكننا ان نجد عملاً اشرف من هذه الاعمال

فضحك اولئك الشبان وقالوا لي لم تزل جديداً انظن ان البيض يأذنون لك في شغل غير الخدمة في البيت ومد سكك الحديد . اما انا فكنت مغترًّا بنفسي غافلاً اني استطيع ان اعيش بشغلي العقلي

وبلغني حينئذٍ ان نادي اليابان العظمى يجتمع تلك الليلة فقصدت الذهاب اليهِ وسألت احد رجال البوليس عن مكانهِ فسأل رفيقهُ قائلاً اين يجتمع هؤلاء اليابانيون[1] الليلة فوقع كلامهُ في اذني كسيف خرق فؤادي . ووصلت النادي ورأيت القس هرس والمستر ثيندا يتكلمان عن تعليم اولاد اليابانيين في كليفورنيا وهذه اول مرة عرفت فيها حال اليابانيين في تلك البلاد وما يلاقونهُ من المشاق في سبيل تعليم اولادهم

وذهبت في اليوم التالي مع احد اليابانيين الى روض الباب الذهبي فكنا كلما مررنا بجمع مزدحم نرى الناس يهزأون بنا وبعضهم يبصق علينا ورشقنا بعضهم بالحجارة . وهذه اول مرة وآخر مرة زرت فيها ذلك الروض

وتوالت الايام وهي تثبت لي ان لا عمل لمن كان مثلي غير الخدمة البيتية لان اهالي كليفورنيا لا يحسبون اننا بشر نستطيع ان نعمل عملاً يحتاج الى عقل وكان لا بدَّ من الرضا بهذا الحكم الجائر لان نقودي نفدت كلها وعضني الجوع فخفضت جناحي وازلت من نفسي كل عواطف الشمم والشرف لان ذلك لا يليق بمن يجعل نفسهُ خادماً بل عبداً لغيره

وارشدني بعضهم الى بيت اكون فيهِ خادماً جزءاً من النهار واقضي بقية يومي في المدرسة للتعلم ولحسن الحظ ان الخادم الذي كذلك ولد المدرسة فاستخدمتني صاحبة البيت بريال ونصف في الاسبوع وطلبت مني ان انظف ارض المطبخ واغسل الشبابيك فقضيت ساعة في غسل المطبخ وساعة في غسل الشبابيك فحطت عليَّ وقالت اني بطيء في عملي ولكنها

(١) الكلمة الانكليزية (Japs) وهي كلمة محتقرة للصغير والحقير

استدركت على ذلك قائلة انني جديد ومتى تعلمت اصير اسرع في عملي وعاد زوجها واولادها في المساء وكانوا ثمانية فجعلت تعلمني كيف اطبخ وقالت لي هل اسمك تشارلي فقلت نعم وعند العشاء نادتني بهذا الاسم ونسيتُ انني سميت نفسي به فلم اجبها فجاءت الى المطبخ منضبةً وجعلت تتنهرني فلم اجبها بل غسلت الصحون والكؤوس وسائر ادوات الطعام وذهبت لاضعها في الخزانة مكانها فرأيت نفسي في مرآة هناك فنافت الدموع من عينيَّ ورأت ذلك احدى بناتها وسألتني عن شأني فقلت لها لا شيء وجاء اخوتها واخواتها فقالت لهم لا بدَّ من شأن لهذا الولد فمسحت دموعي وتبسمت وقلت لا شيء فضحكوا عليَّ وتركوني

بقيت في ذلك البيت اربعة ايام اخدم من السادسة صباحاً الى العاشرة ليلاً ومضيت في اليوم الخامس الى حيث يجتمع الشبان المسيحيون اليابانيون واخبرت واحداً من معارفي بما الاقيه في خدمتي من التعب الشاق فقال هذا ليس عمل ولد المدرسة بل هذه خدمة بيتية كاملة فان من يخدم كولد المدرسة يذهب كل يوم الى المدرسة لحضور الدروس فيها في ساعات الدرس فقل لمستخدميك ان يسمحوا لك بالذهاب الى المدرسة

فرجعت الى البيت وجعلت افكر في هذا الامر الليل كلهُ وكنت اكرهُ ان اخاصم مع ربة البيت كما يفعل الخدم فعزمت ان اترك خدمتها ولا ابدي لها سبباً وقلت لها في اليوم التالي ارجو ان تعفيني من الخدمة وكانت هي وابنتها الكبرى فسألتاني عن السبب فلم اذكر لهما سبباً بل اصررت على ترك الخدمة فأبت المرأة ان تسمح لي بالذهاب وخالفتها ابنتها في ذلك قائلة لها لا يحق لنا ان نبقيهُ عندنا رغماً عنهُ . (وهذه هي الروح الاميركية التي اعجب بها) . فاغتاظت امها منها وقالت لها هذا شغلي لا شغلك واشتدَّ الخصام بينهما نصف ساعة واصرَّت المرأة على ان لا تدعني اذهب قبلما يعود زوجها في المساء والاَّ فلا تدفع اجرتي فقلت لها اني لا اريد اجرة وودعتهما وخرجت ولما وصلت الى الباب زمتني ابنتها وقالت لي انا ادفع اجرتك من جيبي ووضعت ريالاً في يدي

وخدمت بعد ذلك في سبعة بيوت كولد مدرسة اي كنت اخدم نصف النهار كخادم او طباخ واذهب الى المدرسة في النصف الآخر وكنت اضطرُّ احياناً ان اترك البيت هرباً من سوء المعاملة او لان اصحابهُ اكلوا اجرتي . وكثيراً ما كنت امضي الليل جائلاً في الشوارع لانهُ لم يكن معي غرشان ادفعهما اجرة فرشة انام فيها . واحييت مرةً ليلة على هذه الصورة وذهبت في الصباح الى بيت فيهِ طباخ ياباني لعلي اجد عندهُ شيئاً اسدُّ بهِ رمقي فاخذني الى مخدعهِ في الدور الاسفل تحت البيت واخذ يحمص بعض الخبز ليطعمني اياهُ واذا بصاحبة

البيت دخلت المطبخ فجأةً وسألتهُ عن سبب تحميصهِ الخبز فقال انهُ يحمصهُ ليأكلهُ فارتبت في ذلك لانها كانت تحسب انهُ افطر وجلست امامهُ فاضطرَّ ان يأكل كل الخبز الذي حمصهُ فوق شبعهِ وهو خائف لئلاَّ تنزل الى مخدعهِ وتراني فيهِ وبقي في المطبخ الى ان خرجت من البيت فنزل اليَّ بكسرة خبز وبيضة مسلوقة وامرني بالذهاب

والتقيت بعد حين بفصل اليابان وبعض شيوخ اليابانيين واخبرتهم اني اود ان اتقن الانكليزية واصير من الكتَّاب فيها فنصحوني كلهم ان اتعلم التصوير فان النجاح فيهِ ايسر من النبوغ في لغة اجنبية فرأيت انهم مصيبون وذهبت الى مدرسة التصوير المسماة مدرسة هيكسي ولكن من اين اجد اجرة التعلُّم وهي ستة ريالات في الشهر لمن يتعلَّم رسم الاشكال المنصوبة وسبعة ريالات لم يتعلم رسم الاشياء الطبيعية واذا خدمت كولد مدرسة اجد الوقت الكافي للتعلم ولكنني لا اجد النفقة الكافية للاجرة ولذلك عزمت ان اخدم بيتاً اقوم بكل اعمالهِ من طبخ وخدمة عامة حتى اكتسب ما يكفي اجرة للمدرسة فدخلت بيتاً الاجرة فيهِ ثلاثة ريالات في الاسبوع ولما أُريت المخدع المعد لنومي وجدت على حائطهِ كتابة يابانية يقال فيها احذر فان ربة البيت قاسية سليطة . فقلت لما قرأت هذه الكتابة لكن مهما كانت قاسي صرت عبداً والعبد يجب ان يصبر على الضيم ولكني وجدت انها فوق ما وصفها قاسي قساوةً وشراسة فانها كانت لا تنفك عن التهاري والتذمر مني من الصباح الى المساء . وأُعيت بالنزلة الواقدة ولكنني اضطررت ان ابقى ملازماً عملي مع اني كنت اشعر كلما خطوت خطوةً كأنَّ رأسي يكاد يشق واذا انطرحت في فراشي ليلاً اشعر كأنَّ سفُّوداً من الحديد المحمَّى دخل في سلسلة ظهري . ومرَّت عليَّ اربعة ايام وانا على هذه الصورة . واخيراً فرغ صبري وتركت ذلك البيت بعد ان اقمت فيهِ اربعة اسابيع وكل الذين رأوني حينئذٍ قالوا اني صرت جاداً وعظماً ولقبوني بلقب «كجبوشي» اي الخيال لكني جمعت في هذه الاربعة الاسابيع اكثر من عشر ريالات

وقيل لي حينئذٍ ان العمل مياومة اصلح لي وذلك ان امضي في الصباح الى المكان الذي يجتمع فيهِ العمَّال اليابانيون فأُوجر لعمل يقتضي يوماً واحداً او بعض يوم مثل تنظيف الشبابيك وما اشبه فنصحت واتفق ان طبيباً من اطباء الاسنان استخدمني لعمل اللثات الصناعية من الكاوتشوك فكسبت من هذا العمل ما يساعدني على التعلُّم في مدرسة التصوير شهرين ورُزقت حينئذٍ اعظم رزء وذلك انهُ جا في نعي والدي وكان لهُ في نفسي اكبر معزَّة

ولاسيما بعد وفاة والدتي وكنت آمل ان افلح في حياته فاسرّهُ . وكتب اليَّ اخي واختي انهما طلبا منهُ ان يخبرهما عما يريد ان يقولهُ لي قبل وفاته وكان لا يستطيع النطق لانهُ اصيب بفالج فلخذ قلمًا وكتب بهِ «ان يسمع عن نجاحي قبل وفاته» فلما قرأت كتابهما انصدع فؤادي وخنقتني العبرات . ومرَّت عليَّ بضعة ايام وانا كأنني في حلم ثم اخذت الوم الخالق لانهُ اخذ ابي قبلما تقرَّ عينهُ بي . وشعرت حينئذٍ من السير في الخطة التي كنت فيها لانها بطيئة عملًا فتعلقت على المقامرة وصرت اقضي اوقاتي في قهوات الصينيين لكنني لم اصبر على ذلك سوى اربعة اسابيع وسمعت حينئذٍ واحدًا من المقامرين يقول انهُ اذا جاء ومعهُ مئة ريال يخسرها ولم يبقَ معهُ منها سوى ربع ريال فقد يسترد العشرة الريالات بربع الريال ولكن اذا اتى ومعهُ ربع ريال فقط فلا يستطيع ان يربح بهِ عشرة ريالات ولما قال ذلك قلت في نفسي اني ولدت سموريًا[1] وساعود سموريًا ولو كنت قد صرت عبدًا ذليلًا ولاسبيل لي للعود الى اصلي الاَّ الدرس والاجتهاد وكانت المزاولة قد علمتني الطبخ والغسل والكي فاستخدمتني سيدة اسمها مس هلدن لكي اطبخ لها طعام الصباح والمساء وعاملتني هي وكل عائلتها احسن معاملة وهم انكليز ومن اشدّ الانكليز تعصبًا للانكليز وسهَّلوا لي سبيل التعلُّم فاعطوني كل لوازم التصوير وكنت اذا اردت ان اذهب صباحًا لرسم الرسوم من الطبيعة يتناولون الطعام باكرًا لكي لا اعاق عن الذهاب واذا زارهم الزوار اجلسوني معهم في غرفة الاستقبال لكي اتحادث مع زوارهم . وكثيرًا ما كنت اضع ادوات التصوير في المطبخ واغفل عن الطعام فيشوط او يحترق وتدخل مس هلدن الى المطبخ وترى الطعام محروقًا فتضحك ولا تعنفني بكلمة . فبقيت في ذلك البيت ثلاث سنوات وكنت ادفع الى المدرسة ستة ريالات كل شهر من اجرتي ولم يكن يبقى معي ما استطيع بهِ ركب الترامواي فكنت اسير ماشيًا دائمًا مهما كانت المسافات طويلة حتى انهكني التعب وعزمت مرارًا كثيرة على ترك الدرس والاكتفاء بالخدمة . وذات يوم جاء في استاذ التصوير وقال لي اني اراك قد برعت كثيرًا فيجب ان تضم الى فرقة التصوير الطبيعي من الغد . (اي التي تصور عن الطبيعة) فحسدني رفاقي كلهم على هذا الامتياز اما انا فاسقط في يدي لاني صرت مضطرًّا ان ادفع سبعة ريالات كل شهر بدلًا من ستة فعزمت ان اعمل عملًا آخر في الصباح زيادة على ما اعمله في بيت مخدومي لاكتسب الريال السابع فاسرعت الى مكاتب التقديم

(١) السموري من اليابانيين الذين من نسل الاعيان والحكام

الياباني بعد ان تناول مخدومي طعام الصباح وساومت على غسل شبابيك بيت بنصف ريال واسرعت الى ذلك البيت ومعي بعض الخرق وقرعت الجرس فاتى فتى فتح لي الباب واذا هو من اولاد الفرقة التي اتعلم فيها فذبت خجلاً واخفيت الخرق في جيبي اما هو فرحب بي وقال لي كيف اهتديت الى البيت هلم وانظر معي ثم تذهب الى المدرسة سوية فدخلت واكلت معهُ فوق شبعي ومضينا الى المدرسة وذهبت امهُ الى مكان التخديم تحتجب وتخاصم لان الولد الذي أرسل ليغسل شبابيك بيتها لم يذهب اليهِ

وبليت ثيابي وتمزق حذائي فاضطررت ان امتنع عن المدرسة مدة الى ان وفرت ما اشتريت بهِ ثياباً . وكثيراً ما كان البهال يمصقون عليَّ او يرشقونني بالحجارة فصرت اتجنَّب المشي في بعض الاسواق الاَّ لغرض ضروري وكان استاذ التصوير يعطيني خبزاً لاستعملهُ وقت الرسم بالفحم فكنت اجعل غذائي منهُ . ومرَّت عليَّ اربع سنوات سئمت فيها سان فرنسسكو وانا على هذه الصورة حتى سئمت المعيشة فيها وعزمت على الرحيل الى شرقي اوربا والتقيت سنة ١٨٩٧ بالقبطان سكوراي وكان قد جاء سان فرنسسكو لبناء مدرعة فيها فاعطاني مكاتيب توصية الى معارفهِ في باريس ولندن واشترى صورة من صوري بثلاثين ريالاً وهي لا تساوي غرشاً واعطاني ياباني آخر عشرين ريالاً فسافرت بها الى نيويورك والتقيت هناك الامريّين لكن واحداً من اصدقائي اليابانيين اعطاني خمسين ريالاً فسافرت بها الى اوربا . انتهى

هذا ويظهر من حاشية علَّقها صاحب المجلة على هذه المقالة ان كاتب المقالة صار الآن من المؤلفين باللغة الانكليزية كما صار من المصورين . واكثر الذين اشتهروا جروا على هذه الخطة من التعب والنصب وتجشم المشاق وتحمُّل شظف العيش ولعلَّ هذا الياباني فاقهم كلهم في شدَّة ما عاناهُ . والظاهر من سير كثيرين من اليابانيين الذين اشتهروا في الحرب الماضية انهم كانوا وهم امراء في بلادهم يدخلون السفن الحربية خداماً ويتجشمون كل انواع المشاق لكي يتعلموا ادارة السفن الحربية فلا عجب اذا نجحت امَّة يجري رجالها في هذه الخطَّة ولا يبالون بالمتاعب في سبيل النجاح . فليتذكَّر ذلك شبابنا ولاسيما شبان الرسالات العلمية التي تذهب الى اوربا ونحن لغفلتنا نودعها بالاحتفال ونستقبلها بالاحتفال ونبسط لها الحرير لتمشي عليهِ ناسين ان النعمة وبسطة العيش لا تربيان الرجال ولا تقويان العزائم

التشيع

أيهما فيه أقدم الشام ام العجم

طالعت ما ورد في المقتطف من احد فضلاء تبريز جواباً على ما سبق لي ولاحمد افندي رضا من ادباء جبل عامل بان التشيع هو في الشام اقدم منهُ في كل قطر حاشا الحجاز

فالفاضل التبريزي يريد ان يقول ان مجرد الاستدلال العقلي على اقدمية التشيع في الشام بإقامة ابي ذرّ الغفاري في نواحيهِ ومخالفتهِ خليفة عصرهِ هو غير سديد اذ اهالي مصر حينئذٍ يجب ان لا يتأخروا عن اهل الشام في التشيع لان محمد بن ابي بكر كان عندهم وهو من الدّ الخصوم لعثمان (رضي الله عنهُ)

ويقول ايضاً ان مبدأ التشيع في العجم هو في ايام الدعوة العباسية اذ معلوم ما ظهر من ميل اهالي خراسان الى تأييد امر العلوية وان تلك البلاد كانت منذ ذاك الوقت مركزاً لعلماء الامامية . وانهُ اذا ورد في تاريخ المحبي وتاريخ جودت باشا ظهور التشيع في فارس في ايام السلطان حيدر او الشاه اسمعيل فربما كان مقصدهما عموم التشيع جميع ايران وجعلهُ مذهباً رسمياً

والجواب على ذلك ان التشيع بدأ منذ ايام سيدنا علي كرم الله وجهه فلما وقعت الحرب بينهُ وبين سيدنا معاوية انقسم المسلمون حتى الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) قسمين قسم كان مع علي وقسم كان مع معاوية . ووقع هذا الانقسام نفسهُ في الحجاز ثمّ في الشام التي لم يطبق جميع اهلها على مناوأة علي يومئذٍ فكان منهم من بقي على موالاتهِ فلهذا قلنا ان الشام في التشيع اقدم من فارس

ولم يكن الاسلام نفسهُ لذلك العهد قد تبسط في فارس حتى يتبسط فيها مذهب من مذاهبهِ فإن لم يكن ثبت الاصل فكيف يثبت الفرع ؟

ثم ظهرت الدعوة العباسية في خراسان ومرّ في اواخر الدولة الاموية حينما هب بنو هاشم لاستعادة الخلافة من بني امية فوجدوا في ذلك السواد وهو خراسان ملياً لدعوتهم وناصراً لكلمتهم وتم الخروج على الامويين وذالت الدولة الهاشميين فاختفها منهم ابناء العباس وكانوا في الاول يداً واحدة مع ابناء عمهم العلوية . ولكن لا يصح ان يقال ان الدعوة العباسية هي نفس الدعوة العلوية بل يقال هما شعبتان من اصل واحد وان الدعوة العباسية

هي غير الشيع وعلى فرض كان ذلك كذلك فاين الايام التي يقول عنها مناظرنا الفاضل وهي ايام اجابة العجم لدعوة بني العباس من ايام انقسام اهل الحجاز والشام بين علي ومعاوية فإن بين العهدين نحواً من قرن واحد فقد كانت خلافة الامام علي سنة ٣٥ وكانت خلافة ابي العباس السفاح العباسي سنة ١٣٢

فاذا ثبت ان اهل الشام انقسموا بين علي ومعاوية في اثناء حرب صفين فقد ثبت ان التشيع ظهر بينهم لذلك العهد واما التشيع في بلاد العجم فلو عدونا القيام باسم بني العباس تشيعاً علوياً محضاً وهو ليس كذلك فلم يظهر الاَّ في اواخر دولة بني أمية ايام مروان بن محمد وهذا حكمنا يسبق الشام للعجم في تاريخ الشيعة

وهناك دليل آخر وهو انهُ لو كان اهل فارس مشايعين لآل علي في قيامهم بدعوة بني العباس لما قاموا ببيعة رجل عباسي حين كان يوجد من العلوية من يطلب هذا الامر لنفسهِ وانما كان القائمون بوشنر بنصرة العلوية هم من العرب لا من العجم

فلما وقع الانقسام بين العلوية والعباسية وخرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين ابن علي بن ابي طالب وهو الملقب بالنفس الزكية وبالمهدي على ابي جعفر المنصور اخي السفاح تبعهُ اهل المدينة وقاتلوا من دونهِ حتى قتل ولم يكن خروجهُ في العجم ولا قاتل معهُ احد من فارس . ثم خرج اخوهُ ابرهيم في البصرة طالباً البيعة لهُ قبل ان يبلغهُ خبر قتلهِ واجاب دعوتهُ خلق وانهزم من امامهِ سفيان بن معاوية اميرها واستولى على الاهواز وواسط وسار الى الكوفة وقد احصى ديوانهُ مائة الف وكاد يتم لهُ الفوز لولا ما قضى الله من هزيمتهِ اخيراً وقتلهِ وذلك سنة ١٤٥ ولم نقرأ انهُ قام بنصرتهِ احد في خراسان ولا في مرو ولا في جميع فارس

ثم خرج الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب (رضوان الله عليهم اجمعين) وذلك في خلافة الهادي بن المهدي العباسي وكان ظهورهُ في المدينة والتفَّ عليهِ جماعة من آل البيت ومن اهل المدينة وبايعوهُ وخرج الى مكة فالتقى بجماعة من بني العباس ومعهم من حج من رجالهم وقوادهم فاقتتلوا ووقعت الهزيمة على الحسين وقتل وانهزم اصحابهُ وافلت منهم ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب واتى مصر فارسلهُ واضح عامل البريد وكان شيعياً على البريد الى المغرب وبلغ ذلك الهادي فضرب عنق واضح ومات ادريس بالمغرب وولد لهُ ادريس الاصغر الذي اسس دولة الادارسة بالمغرب مما ليس هنا محل تفصيلهِ ولم يكن لفارس اقل نصيب من هذه المظاهرات لآل البيت بوشنر بل انحصرت في الحجاز والعراق والمغرب

وسنة ٢٠١ عند ما اوصى المأمون بولاية عهده الى الامام علي الرضا بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب ولقبهُ الرضا من آل محمد وامر جندهُ بطرح السواد شعار العباسيين ولبس الخضرة شعار العلويين وكتب بذلك الى الآفاق صعب ذلك على بني العباس وامتنع بعض اهل بغداد عن البيعة وادى الامر الى فتنة وبويع ابرهيم بن المهدي بالخلافة وكان المأمون في مرو فسار الى العراق وجرت حروب وانهزم الثائرون على المأمون فلم تسمع ان عرقاً في العجم نبض لهذه الحادثة مع ان المأمون دخل بغداد ولباسهُ الخضرة وطاوعهُ الاكثرون وصار اهل العراق يدخلون عليهِ في الثياب الخضر ويحرقون كل ملبوس يرونهُ من السواد ولولا وفاة الامام علي الرضا سنة ٢٠٣ لربما بقي المأمون على عزمهِ في التخلي عن الامر للعلوية فلو كان التشيع يومئذٍ راسخ العروق في ارض العجم لما سبقهم احد الى الموالاة والمظاهرة ولتقدموا فيهِ على العراقيين الذين هم اولى بنصرة بني العباس

ولما ظهرت الدولة العلوية الفاطمية وهي اول دولة علوية حقيقية استوثق لها الامر ولم تكن ايامها نزوة ثائر ولا فتنة خارج بل دولة راسخة متأثلة زاحمت دولة بني العباس بالمناكب ابتدأت سنة ٢٩٦ واستمرت الى سنة ٥٦٧ . كان اول ظهورها في افريقية وامتدت منها الى مصر والشام والحجاز حتى خطب بدعوتها الامير البساسيري في العراق وعلى منابر بغداد مدة غير قصيرة فكان العرب هم القائمين بالدعوة الفاطمية يومئذٍ ولم يكن العجم القائمين بها

ثم ان عبدالله القداح الذي كان من كبار دعاة هذه الدولة سار من نواحي اصفهان الى الاهواز والبصرة ثم الى سلمية من ارض حمص داعياً فكان قصدهُ بلاد العرب . ويدعي انهُ لو وجد في بلاد العجم يومئذٍ مثاراً للدعوة او مستوراً لزند لما رحل عنها الى غيرها . ثم خلفهُ ابنهُ احمد فصحبهُ رستم بن حوشب من اهل الكوفة فاختار ليث دعوتهِ اليمن وهناك التقى ابن حوشب بابي عبد الله الشيعي فاصطحبا واتفقا على بث الدعوة في افريقية فسار ابو عبد الله الشيعي اليها واجابت دعوتهُ قبائل كتامة وقبائل بني الاغلب فقهرهم فكانت هذه البلاد منبتاً لاكبر دولة علوية شيعية وذلك قبل الدولة الشيعية الصفوية القائمة ببلاد العجم بستمائة سنة

وفي سنة ٢٥٠ عند ما ظهر يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن ابي طالب ظهر بالكوفة واستولى عليها ولكن خانهُ السعد فظفرت بهِ جيوش العباسيين وقتل وحمل رأسهُ الى الخليفة المستعين . ولا نعلم فيما يحضرنا من التاريخ وان يكن ما نعلمهُ فيهِ اقصر من ان يسمّى عملاً ان دولة علوية قامت في العجم قبلاً الى زمان الحسن بن زيد بن محمد

ابن اسمعيل بن زيد بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب الذي قام بطبرستان وكثر جمعهُ واستولى على طبرستان وجرجان وسمي بالداعي الى الحق وذلك سنة ٢٥٠ وقتل سنة ٢٨٧ وقام بعدهُ الناصر الحسن بن علي المعروف بالاطروش وتوفي سنة ٣٠٤ وقام من بعدهِ الحسين ابن القاسم العلوي و يلقب بالداعي وقتل سنة ٣١٦ وانقرض بموتهِ ملك العلويين في هاتيك الديار

ولا اريد ان اقول بهذا ان التشيع لم يعرف في العجم الاَّ في هذا العهد بل انما اقصد كونهُ عرف هناك بعد الشام كما قدمنا وانهُ ايضاً لم يكن في العجم شائعاً كما هو اليوم يشهد بذلك التاريخ وظهور الجم الغفير من ائمة اهل السنة من بلاد العجم. اما ابتداؤهُ في العجم فيرجع الى اواخر القرن الاول. قال ياقوت الحموي عند ذكر قم ما يأتي: ذكر بعضهم ان قم بين اصبهان وساوه وهي كبيرة حسنة طيبة واهلها كلهم شيعة امامية وكان بدء تمصيرها في ايام الحجاج بن يوسف سنة ٨٣ وذلك ان عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث بن قيس كان امير سجستان من جهة الحجاج ثم خرج عليهِ وكان في عسكرهِ سبعة عشر نفساً من علماء التابعين من العراقيين فلما انهزم ابن الاشعث ورجع الى كابل منهزماً كان في جملتهِ اخوة يقال لهم عبدالله والاحوص وعبد الرحمن واسحق ونعيم وهم بنو سعد بن مالك بن عامر الاشعري وقصدوا الى ناحية قم وكان هناك سبع قرى اسم احداها كندان فنزل هؤلاء الاخوة على هذه القرى حتى افتتحوها وقتلوا اهلها واستولوا عليها وانتقلوا اليها واستوطنوها واجتمع اليهم بنو عمهم وصارت السبع قرى سبع محال بها وسميت باسم احداها وهي كندان فاسقطوا بعض حروفها فسميت بتعريبهم قمّاً وكان متقدم هؤلاء الاخوة عبدالله بن سعد وكان لهُ ولد قد ربي بالكوفة فانتقل منها الى قم وكان امامياً وهو الذي نقل التشيع الى اهلها فلا يوجد بها سني قط. ومن ظريف ما يحكى انهُ ولي عليهم والٍ وكان سنياً متشدداً فبلغهُ عنهم انهم ليبغضهم الصحابة الكرام لا يوجد فيهم من اسمهُ ابو بكر قط ولا عمر فجمعهم يوماً وقال لرؤسائهم بلغني انكم تبغضون صحابة رسول الله (صلى الله عليهِ وسلم) وانكم لبغضكم اياهم لا تسمّون اولادكم باسمائهم وانا اقسم بالله العظيم لئن لم تجيئوني برجل منكم اسمهُ ابو بكر او عمر ويثبت عندي انهُ اسمهُ لافعلن بكم ولاصنعن. فاستمهلوهُ ثلاثة ايام وفتشوا مدينتهم واجتهدوا فلم يروا الاَّ رجلاً صعلوكاً حافياً عارياً احول اقبح خلق الله منظراً اسمهُ ابو بكر لان اباهُ كان غريباً استوطنها فسماهُ بذلك فجاؤا بهِ فشتمهم وقال جئتموني باقبح خلق الله لتنادروني عليهِ وامر بصفعهم فقال لهُ بعض ظرفائهم: ايها الامير اصنع ما شئت فان هواه قم لا يجيء منهُ من اسمهُ ابو بكر احسن صورة من هذا. فضحك وعفا عنهم اهـ

وقد سمعت هذه النادرة نفسها من فم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رواية عن استاذه الامام الكبير الشيخ جمال الدين الافغاني أكرم الله مثواهما

وعلى هذا فيكون التشيع في بلاد العجم مخصوصاً بقمّ وبعض اماكن وكانت تقع بين الشيعة وبين اهل السنة هناك الحروب والفتن كما يستدل عليه من التاريخ وفي الثلث الاول من القرن الرابع غلب بنو بويه على العراق واستبدوا بامر الخلافة وصار الخليفة آلة في يدهم وكانوا شيعة واصلهم من الديلم وبقيت دولتهم الى سنة ٤٤٧ ولكن لم يغلب بواسطتهم التشيع على بلاد العجم ولا على بلاد العراق . وما غلب التشيع على الاقطار الايرانية وصار مذهب الدولة الرسمي الاّ في ايام الملوك الصفوية في اواخر القرن التاسع كما ذكر المحبي وجودت باشا وغيرهما من المؤرخين

اما التشيع في جبل عامل واطراف جبل لبنان من بلاد الشام فلا تزال الادلة تقوم على كونه فيها من لدن الفتح وقد يأتي التاريخ في اثناء سرد الحوادث وتأتي كتب السير والتراجم بما ينبئ عن استتبابه فيها منذ ظهوره الى الآن . من ذلك ما ورد في طبقات الشافعية للعلاّمة السبكي في ترجمة الفقيه ابي الفتح نصر بن ابرهيم بن نصر المقدسي المعروف بابن ابي حافظ وهو قوله : تفقه على الفقيه سليم (يريد سليماً الرازي الكبير) بصور ثم دخل الى ديار بكر وتفقه على محمد بن بيان الكازروني ودرس العلم ببيت المقدس مدة ثم انتقل الى صور واقام بها عشر سنين ينشر العلم مع كثرة المخالفين له من الرافضة ثم ذكر وفاته في سنة ٤٩٠ بدمشق

وقال ياقوت الحموي عند ذكر الكرك : قرية في اصل جبل لبنان وليس هو من القلعة التي يقال لها الكرك بفتح الراء ونسب اليها ابا الرضا الكركي وقال كان ثقة في الحديث متقناً لما يكتبه الاّ انه كان رافضياً مات في سادس عشر ذي الحجة سنة ٥٩٢

كذلك في رحلة ابن بطوطة في القرن الثامن ما يدل على وجود الشيعة في هذه الاماكن[1]

ومن هنا استدلنا على كون التشيع معروفاً في جبال الشام من ايام امير المؤمنين كرم الله وجهه الى يومنا هذا فلا يسبق الشام في هذا الحق قطر الاّ الحجاز ولا يساويها فيه الاّ الكوفة

شكيب ارسلان

(١) (المنتطف) وقد ورد ذكر الشيعة في رحلة ابن جبير وكان في دمشق سنة ٥٨٠ للهجرة قال « والشيعة في هذه البلاد امور عجيبة وهم أكثر من السنيين بها وقد عمّ البلاد بدعاتهم وهم فرق شتى منهم الرافضة وهم السبابون ومنهم الامامية والزيدية وهم يتولون بالتفضيل خاصة ومنهم الاسماعيلية والنصيرية وهم كفرة فيهم يزعمون الالهية لعلي رضي الله عنه ومنهم الغرابية وهم يقولون ان جبريل رضي الله عنه اخطأ بالنبي صلى الله عليه وسلم من الغراب بالغراب »

منشأ الانسان الاول

من الاعتراضات الكبيرة على مذهب داروين ان الزمن الذي قدروا انهُ مرَّ على الارض من حين صارت صالحة لمعيشة الاحياء فيها لا يكفي لتولُّد الانواع وتباينها كما نراها الآن . لكن بعض العلماء واولهم الاستاذ ده ڤريس قالوا ان الانواع قد تتولد فجأة وسموا ذلك بالتحول الفجائي . واسباب هذا التحول مختلف فيها فبعضهم ينسبها الى عوامل داخلية في الاحياء نفسها والبعض الى عوامل خارجية كما جاء في مقالة البرنس كروبتكن التي نشرنا بعضها في مقتطف السنة الماضية . وسواء كان هذا التحول الفجائي او الاسراع في النشوء ناتجاً عن اسباب داخلية او خارجية فقد اصاب الاحياء في اماكن معلومة من الارض اكثر مما اصابها في غيرها وكان ذلك على ما يرجح في احدث طبقات الدور الثلاثي وهو الدور الذي يظن ان الانسان نشأ فيهِ

والعلماء مختلفون في تعيين الجهة التي نشأ فيها الانسان فقال بعضهم انهُ نشأ في افريقية وقال غيرهم في اواسط اسيا او جنوبيها والبعض قالوا في شمال اوربا الى غير ذلك من الاقوال . وقد قرأنا الآن مقالة وجيزة للاستاذ ولستن من جامعة شيكاغو باميركا حاول ان يثبت فيها ان الانسان نشأ في اواسط اسيا وتفرق منها كما ان الحيوانات الاهلية نشأ اكثرها هناك وتفرق منها في انحاء المعمورة قال

من الغريب ان الحيوانات الاهلية جاء اكثرها من اسيا وهي بلا استثناء ارقى الحيوانات التي من جنسها فجنس البقر مثلاً وهو ارقى ذوات الظلف ظهر على ما نعلم في الهند في زمن الدور الثلاثي من ادوار الارض الجيولوجية وطوائفهُ الاربع المشهورة ظهرت كلها هناك وهي الجواميس الهندية اللاجنة والجواميس الافريقية المتوحشة والبقر الغربانية ذات السنام والجواميس الاميركية والبقر الاهلية وهذه الاخيرة اكثر الحيوانات الاهلية فائدة للانسان

والضأن كذلك ظهر اولاً في الهند وموطنهُ الآن اواسط اسيا ومثلهُ المعز الاهلي ولا ولا يزال بعضهُ وحشياً في الجهة الغربية من اسيا . ويظهر ان ذوات القرون المجوفة من المجترات اصلها كلها من اسيا وتفرقت منها ومن الغريب ان اسيا لم تزل موطناً للاجناس الراقية منها اما الاجناس الاخرى فانتقلت الى افريقية واوربا واميركا واتخذتها مواطن لها

اما طائفة الجمال فنشأها اميركا الشمالية على ما يظهر وبعد ان اقامت هناك عصوراً كثيرة نزحت الى اسيا حيث بلغت اعلى درجة من الارتقاء وساوت جمالاً ونزحت انسباؤها الى اميركا الجنوبية وتحولت الى الحيوانين المعروفين باللاما والالبكا وهما ادنى من الجمال المعروفة

في سلم الارتقاء ولا يعرف غيرهن من الحيوانات البرونة الداجنة ما كان منشأهُ خارج اسيا

اما البرنة وهو ارقى الابائل فلا شبهة انهُ في الاصل من شمال اسيا ولا يزال وطنهُ هناك الى هذا العهد لكن بعضهُ نزح الى اميركا الشمالية وتحول الى نوع آخر من الابائل يعرف بالكريبو

والخنزير اصلهُ من الهند ايضاً وسواء كان هو ارقى ذوات الظلف من غير المجترات او كان ارقاها الحيوان المعروف بالبابيروسة فكلاهما اسيويان . اما ذوات الحافر فارقاها الفرس واصلهُ من اسيا ولا يزال وحشياً هناك وربما كان الجنس كلهُ اصلهُ من اسيا فالحمير وهي ادنى من الخيل في سلم الارتقاء اصلها من اسيا وربما كان منشأ الحمار الاهلي في بلاد العرب او الحبشية . وحمر الزرد وهي ادنى انواع هذا الجنس كلها افريقية لا اسيوية

ونشأ جنس الفيل في اواسط اسيا او جنوبيها ولم يأنس منهُ الاَّ الفيل الهندي وهو ارقى نوعيهِ فان الفيل الافريقي ادنى من الهندي كما ان الجواميس وحمر الزرد والخنازير التي في افريقية ادنى من انسبائها الاسيوية ولم يتمكن الانسان من تذليلها كما ذلَّل هذه

والقطاط (Felidæ) وهي ارقى السباع منشأها كلها في جنوب اسيا ثم تفرقت في انحاء المعمورة ولا يعرف منها في الاحافير الاَّ النزر اليسير لكننا نعلم ان نوعين من القطاط الداجنة اصلهما من اسيا وهما القط السيامي والفهد (Cheetah) . اما القط الاهلي وان يكن افريقي الاصل فاسلافهُ من اسيا وكانت هناك في الدور الثلاثي من الادوار الجيولوجية . والكلاب على انواعها لا يعرف منشأها تماماً لكن اقرب الكلاب البرية الى الداجنة منها وطنها اسيا . وقد كانت الكلاب الزغارية والسلوقية داجنة في مصر منذ الوف من السنين على انني اظن ان اكثر اصناف الكلاب الاهلية من اصل اسيوي

و يظهر ان هذا الاسراع في النشوء في الدور الثلاثي الاعلى في اواسط اسيا ليس مقصوراً على الحيوانات البرونة فالنعامة وهي ارقى الطيور الرَّمثية (١) نشأت في اواسط اسيا . كذلك الدجاج السندي (Jungle-fowl) وهو ارقى انواع الدجاج ومنهُ نشأ الدجاج الاهلي فانهُ في الاصل من بلاد الهند ولا يزال بريّاً هناك . ومثلهُ الطاووس والاوز الاغبر ومنهُ نشأ

(١) الجؤجؤ من السفينة صدرها ومن الطائر الصدر وقيل القص اي عظم الصدر وهو في الطيور التي تطير شبيه بجؤجؤ السفينة لتوفّر مستطيل في وسطهِ جعل كذلك ليسع ما يندغم فيهِ من عضلات الطيران وهي شديدة القوة في هذه الطيور لذلك يسميها علماء الحيوان (Carinatæ) اي الجؤجئية . اما الطيور التي لا تطير كالنعام مثلاً فالقص فيها مسطح لان عضلات الطيران فيها ضعيفة فلا حاجة بها الى سطح متسع تندغم فيهِ وتسمى هذه الطيور عند علماء الحيوان (Ratitæ) اي الرمثية تشبيهاً لقصها بالرمث اي الطوف لانهُ مسطح

الاوز الاهلي وكذلك الحمام والبط الاهلي فهذه الطيور كلها اسيوية الاصل ولا يعرف من هذه الطائفة الاَّ نوعان منشأهما في غير اسيا احدهما الفرغر (المعروف في الشام بدجاج فرعون) فهو افريقي الاصل والآخر الديكي (المعروف في الشام بدجاج الحبشة) وهو طائر اميركي

اما الزحافات فلا اطيل البحث فيها ولكن ليس من العجيب ان يكون ارقاها التمساح البائد الذي ظهر في اواسط اسيا في احد الادوار الجيولوجية وان تكون الناشر الهندية (الكوبرا) من ارقى الحيات والضفدع العظيمة التي في اليابان والصين ارقى انواع الضفادع. وآخر شيء اذكره من هذا القبيل ان النباتات التي تزرع لينتفع بها اكثرها اسيوي الاصل

اليس لهذه الحقائق كلها معنى وهل الانسان مخالف لهذه الحيوانات في نشوئه. اكثر الناس يستنتجون من ذلك ان الحيوانات الداجنة والنباتات الاهلية جاءت من اواسط اسيا لان تمدن الانسان بدأ هناك ولكنني لا ارى مسوغاً لهذا الاستنتاج بل ارى ان الانسان نشأ وبلغ مبادئ التمدن في اسيا لانها كانت في دور من الادوار الجيولوجية اصلح من غيرها لارتقاء الانسان وغيره من الاحياء. ولا يمكن ان يكون الانسان قد نشأ في النصف الغربي من الكرة الارضية ولا دليل عندنا على ذلك ولا دليل ايضاً على ان الانسان او احد اسلافه اقام في النصف الغربي من الكرة الارضية في الادوار التي وجد فيها في النصف الشرقي وكل الادلة تشير الى انهُ في الطبقات الحديثة من الدور الثلاثي كانت الاحوال في اميركا الشمالية غير صالحة لمعيشة كثير من الحيوانات فنزح منها الكركدن والجمل والفرس الى اماكن اخرى

وقد ارتأى بعضهم انهُ لا بد من ان الانسان نشأ في اقليم حار ليعتادوا بذلك فقد ما كان يغطيهِ من الشعر. والامر خلاف ذلك فان الانسان فقد شعرهُ لانهُ نشأ اولاً في اقليم بارد او معتدل الحرارة فكان لا بد لهُ من لبس الثياب للتدثئة فاستغنى بها عن الشعر ولا نعرف حيواناً او طائراً فقد شعرهُ او ريشهُ بسبب الحر. ولكن الحيوانات قد تفقد شعرها او صوفها بسبب الحشرات كالجرب ونحوهِ

اذا امعنا النظر في هذه الحقائق والاستنتاجات واضفنا اليها ما نعلمهُ من علم الاجنة وجدنا ان وطن الانسان كان اولاً في اواسط اسيا وانهُ ظهر اولاً في الطبقة المتوسطة من الدور الثلاثي او في اول الطبقة العليا واذا كانت العظام التي وجدت حديثاً في جاوى هي عظام حيوان من جنس الانسان فقد وجدنا دليلاً قاطعاً على ان منشأ الانسان في اسيا ولا شبهة عندي انهُ في بضع سنوات سيعثر الباحثون على الحلقات المفقودة في الصين او اواسط اسيا او الجهة الشمالية من الهند

الميزانيتان العثمانية والمصرية

وسياسة البلادين المالية

المال قوام الاعمال بل قوام الامم وقوام الممالك فان حاجيّات الانسان وكمالياته او كل لوازم معيشته ورفاهيته تباع وتشترى بالدرهم والدينار فهما يمثلان كل ما نحتاج اليه في هذه الحياة الدنيا . بهما نحرث الارض ونزرعها ونستغلها ونربي الانعام ونصيد الاسماك ونبني البيوت والقلاع والحصون والسفن والبوارج والمدارس والمعابد والمعامل والمشاهد وبهما نهيء الجيوش ونبحث عن نواميس الكون وعلل الامراض . ولا يعمل الانسان عملاً الاّ بالمال ولاجل المال ولو كان المال علة ثانوية وغاية ثانوية . وعزّة الدول بوفرة مالها وخرابها بنفاده

وهذه الاحكام ليست خاصة بعصرنا الحاضر بل كانت جارية ايضاً في العصور الغابرة وعلى الامم التي عزّت ثم هانت كاليونان والرومان والفرس والعرب

والناظر في تاريخ القطر المصري منذ اربعين سنة الى الآن يرى ان إسرافهُ في زمن اسمعيل باشا اي زيادة نفقاته على دخله هو الذي اوقعهُ في شرك الدين وافضى بهِ الى الثورة فالاحتلال وانّ السياسة التي جرى عليها لورد كرومر هي التي نجّت القطر المصري من الافلاس وزادت موارد ثروته . ولو اتُّبعت هذه السياسة قبل الاحتلال ما وقع القطر في شرَك الدين ولا حدثت فيهِ ثورة ولا ما ترتّب عليها من الاحتلال

وكان مدار سياسة لورد كرومر المالية على الامرين الآتيين وهما : اولاً الغاء الضرائب التي تثقل كاهل الاهلين وفائدتها للحكومة قليلة واكثر دخلها يذهب اجوراً لعمالها . وثانياً الاقتصاد في نفقات الحكومة بمنع التبذير وانفاق ما يقتصد في الاعمال العمومية النافعة التي تزيد دخل القطر فيزيد دخل الحكومة بزيادته . فالغيت السخرة اي تشغيل الناس من غير اجرة لان خسارتها اكثر من ربحها وخففت اموال الاطيان التي وجد ان الضريبة ثقيلة عليها . والغيت رسوم البطانطة لان ثقلها كان واقعاً على الوطنيين دون الاجانب . والغيت رسوم الغنم والمعزى لان وطأتها كانت ثقيلة على الفلاح . والغي رسم القبانة لانهُ كان وسيلة لابتزاز الاموال من الفلاحين . والغيت رسوم الملاحة في النيل ورسوم الدخوليات

لكثرة ما كان يقع فيهما من التلاعب . والغي رسم الملح واحتكاره . وانقصت اجور البوسطة والتلغراف خمسين في المئة وانقصت اجور سكك الحديد . ولا يقل مجموع الضرائب التي رفعت عن عاتق الاهلين عن نحو مليوني جنيه في السنة ولكن دخل الحكومة لم يقل بهذا الالغاء والتخفيض بل زاد زيادة مضطردة كما ترى في الجدول التالي

دخل الحكومة سنة	١٨٩٠	١٠٢٣٧٠٠٠	جنيه مصري
" " "	١٨٩٥	١٠٤٣١٠٠٠	" "
" " "	١٩٠٠	١١٤٤٧٠٠٠	" "
" " "	١٩٠٥	١٤٨١٣٣٤٦	" "
" " "	١٩١٠	١٥٣٥٠٠٠٠	" " تقديراً

ولم يُزَد من الرسوم في غضون هذه المدة الاَّ رسم التبغ وقد زيد لان التبغ ليس من الحاجيات فرسمهُ يقع على الاغنياء وعلى الذين يجرون مجراهم في الانفاق على ما لا لزوم لهُ

وكانت اموال الحكومة تحصَّل بالصعوبة قبل زمن الاحتلال وكثيراً ما كانت الاطيان تحجز وتباع لعجز اصحابها عن ايفاء مالها اما الآن فالضرائب كلها تحصَّل بالسهولة ولا يتأخر منها من سنة الى سنة شيء يذكر

هذا هو الغرض الاول من السياسة المالية التي يجري عليها لورد كرومر اي تخفيض الضرائب على قدر الامكان . والغرض الثاني الاقتصاد التام في النفقات والانفاق على الاعمال العمومية ذات الريع

قلنا ان الحكومة التزمت الاقتصاد التام ولكنها لم تلجأ الى التقتير بل كانت نفقاتها تزيد رويداً رويداً كما ترى في الجدول التالي

نفقات الحكومة سنة	١٨٩٠	٠٩٥٩٠٠٠٠	جنيه مصري
" " "	١٨٩٥	٠٩٤٣١٠٠٠	" "
" " "	١٩٠٠	٩٩٢٤٠٠٠	" "
" " "	١٩٠٥	١٣١٢٤٨٢٣	" "
" " "	١٩١٠	١٥١٥٠٠٠٠	" " تقديراً

وكانت الحكومة لا تستطيع ان تنفق كل ما توفرهُ فجعلت تنفق ما يمكنها انفاقهُ في هذا السبيل اي في عمل الاعمال ذات الريع واهمها اصلاح ري القطر المصري حتى يزيد

دخل السكان من اطيانهم فانفقت في العشرين السنة الاولى من سنين الاحتلال تسعة ملايين من الجنيهات على اعمال الري والصرف فوثق الناس بري اطيانهم ومنع ما كان يصيبهم من الخسائر الفادحة اذا جاء الفيضان غير وافر . وزادت مساحة الاطيان التي تدفع اموالاً اميرية في هذه السنوات العشرين ثمانمئة الف فدان وزادت قيمة الصادرات في هذه المدة من ١٢ مليون جنيه الى ١٦ مليون جنيه وهي الآن نحو ثلاثين مليون جنيه او اكثر وزاد محصول القطن من مليوني قنطار ونصف الى ستة ملايين او سبعة

ثم ان الاموال التي دخلت الخزينة المصرية في زمن الاحتلال تصرف كلها بالتدقيق التام ويعرف كيف صُرف كل غرش منها فجملة ما دخل الخزينة المصرية في سني الاحتلال العشرين الاولى من الايرادات العادية ٢٠٤٨١٦٤٢ جنيهاً مصرياً وجملة ما دخل من السلف والقروض التي عقدتها الحكومة لتعويضات الاسكندرية ولاستبدال المعاشات ولمرتبات العائلة الخديوية ولاعمال الري والاموال التي وفّرتها بتحويل دين الدائرة السنية والدومين والاموال التي اخذتها ثمن ما باعته من الاراضي الاميرية والمال الذي دفعته الحكومة الانكليزية لنفقات فتح السودان كل هذه الاموال بلغت ١٩٣٨٩٧٣١ فجملة ما دخل خزينة الحكومة المصرية في العشرين السنة الاولى من سني الاحتلال ٢٢٤٣٠٦١٥١ جنيهاً فانفقت الحكومة على ادارتها ١٩٣٥١٣٥٢٨ جنيهاً وعلى كل الاعمال التي عملتها ومن ذلك تعويضات الاسكندرية واعمال الري والصرف واستبدال المعاشات وفتح السودان ومد سكك الحديد وبناء المباني العمومية واستهلاك بعض الدين كل ذلك انفق عليه ٢٠٢٥١٨٨٧ وجملة النفقات العادية وغير العادية ٢١٢٧٦٥٤١٥ جنيهاً فوفرت في هذه السنوات عشرة ملايين ونحو نصف مليون من الجنيهات لم تستطع ان تنفقها حينئذٍ في الاعمال ذات الريع لان شروط صندوق الدين كانت تمنعها من ذلك

ومما يستحق النظر ان نظارة الحربية لم تكلف الحكومة المصرية في عشرين سنة سوى ١٢ مليوناً وثلث مليون من الجنيهات

ولم تستعمل الحكومة المصرية التقتير في مصلحة من مصالحها او نظارة من نظاراتها . بل استعملت منتهى الحكمة فانقصت ما يمكن انقاصهُ من غير ضرر وزادت ما تجب زيادتهُ لان ارتقاء البلاد اقتضى زيادة العمال فيه او لأن في زيادته نفعاً للبلاد كما ترى في هذا الجدول

	سنة ١٨٨٣	سنة ١٩١٠
نفقات مجلس النظار	٦ ٧٣٨	٥ ٨٨٧
» مجلس شورى القوانين	١٣ ٨٦٧	١٤ ٥٩٢
» نظارة الخارجية	١٠ ٧٢٨	١٢ ٤٣٩
» نظارة المالية	١٠٧ ١٣٢	٣٣٣ ٢٨٠
» نظارة المعارف	٧٦ ٠٠٠	٥٠٤ ٩٤٢
» نظارة الداخلية	٢٥٨ ٢٣٢	٥٨٤ ٦٧٨
» ديوان عموم الحقانية	٣٥ ٠٠٠	٣٢ ٥٠٨
» المحاكم المختلطة	١٣٢ ٠٠٠	٢٣٨ ٨٦٨
» المحاكم الشرعية	٣٥ ٠٠٠	٦٨ ٩١٤
» المحاكم الاهلية	٤٥ ٠٠٠	٣٣٥ ٣٤٤
» المصالح ذات الايراد	٧٠٨ ٠٠٠	٢ ٤٩٢ ٣٠٦
» الجيش المصري	٨٦٤ ٠٠٠	٧٢٠ ٧٥٦
فائدة الدين الممتاز	١١٥٧ ٠٠٠	١ ٠٦٢ ٢٣٥
» » الموحد	٣ ٢٥٣ ٠٠٠	٢ ١٨٢ ٩٠٦

وواضح من هذه الارقام ان النفقات زيدت حيث تجب زيادتها وانقصت حيث يمكن انقاصها . ثم لما حُلَّ قيد الحكومة المصرية من صندوق الدين وصارت تستطيع ان تنفق ما اقتصدته في ما ينفع البلاد ويزيد دخلها انفقت اكثر ما كان متوفراً لديها من الاموال في اعمال الري اي جعل الاطيان تروى صيفاً وفي بناء المدارس والمحاكم وتجديد اكثر مباني الحكومة وفرشها . ويظهر لنا انها توسعت في الانفاق في بعض الجهات اكثر مما تقتضيه الحكمة او تجيزه حال البلاد المالية ولكن الذين انفقوا هذه الاموال يرون غير ذلك وهذا موضوع يحتمل النظر من وجوه مختلفة وسنوفيه حقهُ من البحث في فرصة أُخرى

وخلاصة حالة البلاد في زمن الاحتلال الى منتصف سنة ١٩١٠ ان الحكومة المصرية استرجعت السودان وعملت فيه اعمالاً عظيمة جداً وانفقت على ذلك كله نحو ستة ملايين من الجنيهات وعملت في القطر المصري اعمالاً تفوقها كثيراً انفقت عليها اكثر من عشرين مليوناً من الجنيهات ومع ذلك تقص دينها فلم يبقَ من السندات المتداولة بين ايدي الناس

الاّ ما قيمته نحو ٨٩ مليون جنيه مع انها بلغت قبلاً نحو ١٠٣ ملايين جنيه وبقي لهيا من المال الاحتياطي ٧٦٨٨٧٤ ٥

هذه خلاصة الحالة المالية في الحكومة المصرية من بدء الاحتلال الى الآن وهاك ميزانية الحكومة المصرية على ما قدّرت به لسنة ١٩١١ الآتية

الايرادات

(١)	٥٢١٤٠٠٠	اموال الاطيان
(٢)	٠٣٣٩٠٠٠	عوائد الاملاك
(٣)	١٨٤٠٠٠٠	رسوم الجمارك
(٤)	١٥٦٠٠٠٠	رسوم الدخان والتنباك
(٥)	٠٢٨٠٠٠٠	رسوم الموانى
(٦)	٩٥٠٠٠	رسوم الفنارات
(٧)	٤٢٠٠٠	مصائد الاسماك
(٨)	٤٥٠٠٠	التمغة
(٩)	٠٥٠٠٠	تمغة المصاغات
(١٠)	٨٣٠٠٠٠	رسوم المحاكم المختلطة
(١١)	٤٢٥٠٠٠	» » الاهلية
(١٢)	٠٧٠٠٠٠	» » الشرعية
(١٣)	٥٤٠٠٠	رسوم متنوعة
(١٤)	٣٣٣٠٠٠٠	ايراد سكك الحديد
(١٥)	١٠٧٠٠٠٠	» التلغرافات
(١٦)	٢٩٠٠٠٠٠	» البوستة
(١٧)	٠٩٢٠٠٠٠	فائدة النقود
(١٨)	٤٢٥٠٠٠	ايرادات متنوعة
(١٩)	١٦٥٠٠٠	ايجار املاك الميري
(٢٠)	١٦٤٠٠٠	بدل الخدمة العسكرية
(٢١)	١٢٨٠٠٠	المستقطع من ماهيات المستخدمين
	١٩٥٠٠٠٠٠	الجملة

المصروفات

٢٨١٨٠٣	مخصصات الحضرة الخديوية والعائلة الخديوية الخ
٦٢٨٤	مجلس النظار
١٣٤٣٤	مجلس شورى القوانين
١٢٣٥٤	نظارة الخارجية
٢٤١٥٦٥	نظارة المالية
٥٠٦١٨٧	نظارة المعارف
٦٣٢٤٠٧	نظارة الداخلية
٧٤٠٣٤٥	نظارة الحقانية
١٢٨٧٣١٨	نظارة الاشغال
١٠٠٠٠٠	مصلحة الزراعة
٠٢٢٤٠١١	خدمات متنوعة
٠١٨٠٤٢	مدرسة القضاء الشرعي
٩٢٦٥١٧	ادارة الاقاليم والمحافظات وما يليها
١٣٥١٥٨	الجمارك
١٤٨٦٢٥	خفر السواحل
١١٠٦٠٨	الليانات والفنارات
٠١٥٠٠٠	منع تجارة الرقيق
٠٢٣٧٦	ثمنة المصاغات
٢١١٢٨٧٢	السكك الحديد
١١٠٩٠٧	التلغرافات
٢٧٩٣١٨	البوسطة
٧٠٨٧٨١	نظارة الحربية
١٤٦٢٥٠	جيش الاحتلال
٥٥٠٠٠٠	معاشات للمتقاعدين
٠٦٤٥٦٠	مكافآت لانفار الجيش بعد الخدمة

٦٦٥ ٠٤١	ريركو مصر
٠٣٥ ٠٠٠	مصاريف صندوق الدين
٣٠٧ ١٢٥	فائدة الدين المضمون
١٠٦٢ ٢٣٥	« « الممتاز
٢١٨٢ ٩٠٦	« « الموحد
١٥٠ ٠٠٠	قسط المقابلة
١٥٣ ٢٩٥	قسط الخزانات
٢٣ ٠١٠	« الخط من قنا الى اسوان
١٢ ٥٤٢	« « « بورت سعيد الى الاسمعلية
٣٧ ٦٢١	مصاريف غير منظورة
٣٦٠ ٠٠٠	مصاريف ملكية وعسكرية للسودان
١٤ ٢٧٥ ٠٠٠	والجملة
٧٢٥ ٠٠٠	ما يصرف من الاعتمادات الخصوصية للاعمال العمومية
١٥ ٠٠٠ ٠٠٠	والجملة

فاذا لم تزد ايرادات الحكومة المصرية على خمسة عشر مليوناً ونصف مليون من الجنيهات (والمرجح انها تزيد كثيراً) واذا لم تزد مصروفاتها على خمسة عشر مليوناً من الجنيهات زاد معها في آخر السنة نصف مليون من الجنيهات ولكن المرجح انهُ يزيد معها مليون جنيه او اكثر

ميزانية الدولة العثمانية

نشرنا في الجزء الماضي فصول هذه الميزانية و يظهر منها ان الايرادات تبلغ ٢٨ مليوناً و ٦١٢ الف ليرة عثمانية اي نحو ٢٥ مليوناً من الجنيهات المصرية وان المصروفات تبلغ ٣٥ مليوناً من الليرات العثمانية اي ثلاثين مليوناً ونحو ٧٠٠ الف جنيه مصري. فالعجز في الميزانية العثمانية نحو ستة ملايين و ٤٠٠ الف ليرة عثمانية او نحو خمسة ملايين و ٧٠٠ الف جنيه مصري

وتصعب المقابلة بين كل فصول الميزانية العثمانية والميزانية المصرية ولكن لا تصعب المقابلة بين اهم هذه الفصول كما ترى في هذا الجدول بعد تحويل الليرات العثمانية الى جنيهات مصرية.

الميزانية العثمانية	الميزانية المصرية
٣٩٦ ٤٠٢ ١٢ وبركو الاملاك والتنقيط والبدل العسكري والتكليف الشخصي للطرقات ورسوم المواشي والمعادن والتذاكر	٠٠٠ ٧١٧ ٥ اموال الاطيان وعوائد الاملاك وبدل الخدمة العسكرية
١٣٤ ٠٦١ ١ التمغة والقيدية والخروج	٠٠٠ ٤٢٩ ١ رسوم التمغة والمحاكم
٩٠٠ ٦٢٩ ٤ المسكرات والدباك والجرك والرسوم البحرية ورسوم الصحة والحيوانات	٠٠٠ ٢٥٧ ٢ رسوم الجارك ومصايد الاسماك والموانى والفنارات
٦٢٠ ٩٩١ ٢ احتكار الدخان والملح والبارود والمسكوكات والبوسطة والتلغراف	٠٠٠ ٩٥٧ ١ رسوم الدخان والدباك والتلغراف والبوسطة
٨٧٢ ٤٢٠ حاصلات المؤسسات التابعة للحكومة	٠٠٠ ٣٣٠ ٣ ايراد سكك الحديد

ومعلوم ان الاموال التي تأخذها الحكومة من رعاياها انما هي اجرة عمل تعمله للرعايا . وعمل الحكومة هو حفظ الامن واجراء العدل والذود عن الوطن وعمل الاعمال العمومية التي يتعذر على الافراد عملها كاصلاح الري والطرق واجراء التدابير الصحية العمومية ونشر التعليم العمومي وادارة البوسطة والتلغراف . واما الاعمال التي يتيسر للافراد عملها او للشركات كتسيير السفن البخارية وانشاء السكك الحديدية فلا تلزم الحكومة بعملها وان عملتها وتقاضت اجرة عليها فلا يكون عملها لها من وظائفها الخصوصية . اما الاعمال الاولى التي قلنا انها من وظائف الحكومة فتؤجر عليها بالضرائب التي تضربها على الاهالي لكي تؤمنهم وتجري لهم العدل وعلى الاملاك لكي تحميها وتعمل لها الاعمال العمومية النافعة

واهالي السلطنة العثمانية اكثر من مضاعف اهالي القطر المصري واملاكها اكثر من مضاعف املاك القطر المصري مساحة . والاموال التي تتقاضاها الحكومة العثمانية من رعاياها وعن املاكهم مضاعف الاموال التي تتقاضاها الحكومة المصرية من رعاياها وعن املاكهم ولكن شتان بين الخدمة التي تقوم بها الحكومة العثمانية لرعاياها الآن والخدمة التي تقوم بها الحكومة المصرية لرعاياها . فان الحكومة المصرية تنفق على التعليم العمومي ٥٢٤ الف جنيه والحكومة العثمانية تنفق اقل من ٨٠٠ الف جنيه وكان الواجب ان تنفق اكثر من مليون جنيه . والحكومة المصرية تنفق على نظارة الاشغال والزراعة اي على الاهتمام بري الاطيان وزراعتها

وما يتصل بذلك من التناطر والخزانات اكثر من مليوني جنيه في السنة والحكومة العثمانية لا تنفق الأنحو مليون جنيه في هذا السبيل وكان حقها ان تنفق اربعة ملايين من الجنيهات

اما الاعمال العمومية التي ليست من عمل الحكومة الخاص مثل انشاء سكك الحديد وادارتها فدخل الحكومة المصرية من ذلك كبير جداً ولا دخل يقابله للحكومة العثمانية بل انها تخسر بضمانها ربحاً كبيراً للشركات التي انشأت سكك الحديد في بلادها

فاذا طرحنا مليوني جنيه من اموال الاطيان المصرية لانها اجرة الاعمال التي تعملها الحكومة لريها وصرفها وطرحنا ايضاً سائر الاموال التي تتقاضاها من رعاياها اجرة اعمال غير متعلقة بالامن والعدل فما يبقى اجرة اعمال الحكومة الحقيقية زهيد جداً

واذا قابلنا بين نفقات الحكومة العثمانية ونفقات الحكومة المصرية فهناك الاختلاف الكبير والبون الشاسع فان نفقات حفظ الامن في القطر المصري والسودان تبلغ مليوناً و ٢٧ الف جنيه واما نفقات حفظ الامن في البلاد العثمانية اي نفقات الحربية والبحرية والبوليس والجندرمة فتبلغ ١٣ مليوناً و٣٠٠ الف ليرة عثمانية او نحو ١١ مليوناً و٦٧٠ الفاً من الجنيهات المصرية اي عشرة اضعاف ما تبلغهُ نفقات القطر المصري في هذا الباب

وخلاصة المقال ان مدار السياسة المالية في الحكومة المصرية على تخفيف الضرائب عن الاهالي والانفاق على الاعمال ذات الريع . والسياسة المالية في البلاد العثمانية لا ترمي حتى الآن الى تخفيف الضرائب بل الى زيادتها ولا ترمي الى عمل الاعمال النافعة بل الى تقوية حربيتها وبحريتها

ولابدَّ من ان يقال لنا ان تقوية الجندية العثمانية ضرورية جداً من وجهين الاول انها مجاورون لدولة قوية معادية لنا وهي دولة الروس ولدول صغيرة تميل الى الاعتداء علينا كالصرب والبلغار واليونان والجبل الاسود والثاني ان كثيرين من سكان البلاد العثمانية لم يخلدوا الى السكينة حتى الآن كبعض العرب والاكراد والدروز . والذي يُراهُ في الرد على الوجه الاول ان الدولة العثمانية بقيت الى الآن باتفاق دول اوربا الكبرى ولولا ذلك لاستولى محمد علي على الاستانة او لاستولت عليها روسيا . وما اقتضتهُ السياسة الاوربية منذ مئة سنة الى الآن لا تزال تقتضيهِ اليوم وغداً . وهذا لا يوجب علينا اعمال جديتنا ولكنهُ يعفينا من انفاق نصف دخل السلطنة على القوات الحربية . ونرى في الرد على الوجه الثاني ان نذكر هنا كلاماً سمعناهُ من لورد كرومر منذ بضع عشرة سنة وهو انهُ لما ثارت الخواطر في القطر المصري على اثر استعفاء الوزارة النهبية الاولى خفنا من ان يفضي ذلك الى ثورة فقال لنا

ذلك السياسي المجرّب « ان الناس لا يثورون الاّ عن جور او عن جوع ولا جور في البلاد ولاجوع فيها فلا خوف من الثورة » فاذا منعت الحكومة العثمانية الجور والجوع فلا خوف ان يثور احد من رعاياها عليها واذا صرفت همها الى منع الجور والجوع استغنت عن نصف جنودها لحفظ الامن في بلادها وعن ستة ملايين من الجنيهات تسددينها الآن سنويًّا لسد العجز في ميزانيتها

ولا نرى سياسة مالية للبلاد العثمانية انفع من السياسة التي جرى عليها لورد كرومر في هذا القطر وهي تخفيض الضرائب عن عاتق الاهلين والاقتصاد في النفقات والاهتمام بالاعمال العمومية ذات الريع التي يزيد بها دخل الاهلين فيزيد دخل الحكومة بزيادته ومتى شبع الناس وامنوا جور الحكام اخلدوا الى السكينة وانصرفوا الى اعمالهم المختلفة وبغير ذلك لا تبلغ الغرض الذي يتوق اليهِ العثمانيون

وكلامنا هذا لا يمنع ان تكون الحكومة العثمانية الحاضرة قاصدةً الى هذا الغرض ولا يوجب عليها ان تفعل في سنتين ما لم تفعله مصر الاّ بعد سنوات كثيرة ولكننا نودّ ان نرى في سياستها المالية دليلاً قاطعاً على انها سائرة في هذا السبيل سبيل تخفيف الضرائب وتقليل النفقات الادارية والعسكرية واتفاق ما يقتصد على الاعمال العمومية ذات الريع

أظواهر نفسية أم خداع

وعدنا القراء ان ننقل اليهم اهم ما يتصل بنا من اخبار الباحثين في ما يسمونهُ بالظواهر النفسية والقوى الغريبة التي ينسبونها الى الوسطاء . وقد قرأنا في احدى مجلاتهم شيئاً عن اعمال فتاة بولونية تدعى استانسلاو تمتلك ممتلكات اعمالاً تشبه اعمال اساتيذ بلاد بنو المعروفة عند قراء المقتطف وقد امتحنها الدكتور ارخوروتش امام جماعة من علماء مدينة وارسوفيا ونحن ننقل بعض ما جاء عن ذلك في مجلة المباحث النفسية الانكليزية

جيء بهذه الفتاة الى دار الطبيعيات في مدرسة الصناعة والزراعة فنوّمها الدكتور ارخوروتش بالطرق المعتادة ثم فحصها الحاضرون فحصاً مدققاً وفحصوا المائدة التي جلست امامها وجاء احدهم بجرس صغير ووضعهُ امامها على المائدة ووضعت يديها على جانبي الجرس والمسافة بينهُ وبين كل منهما تتراوح بين اربع عقد وثماني عقد فلم تحضر بضع دقائق حتى اخذ الجرس يتحرك ويبتعد عنها بعض الاحيان ولم تكن حركة يديها مطابقة لحركة الجرس بل

كان الجرس يتحرك احياناً وهي لا تحركهما . وانقلب الجرس مرة فطلب منها احد الحاضرين ان تعيده كما كان ففعلت ذلك دون ان تلمسهُ . وبعد قليل من الزمن قالت انها تشعر بازدياد القوة فيها وربما امكنها رفع الجرس عن المائدة وكان في الغرفة مصور فطلبت منهُ ان يكون على تمام الاستعداد لتصوير الجرس وهو مرتفع في الهواء فاخذ الجرس يرتفع قليلاً ويسقط ثم ارتفع دفعة واحدة الى حذاء جبينها وتمكن المصور من تصويره بثلاث آلات فوتوغرافية كانت موضوعة على ثلاثة جوانب منهُ . وقد شهد الحاضرون كتابة اسمهم فنشوا يديها قبل ان شرعت في العمل وانها لم تمس جسمها بهما مطلقاً وكانتا دائماً على مرأى منهم ولم تمس الجرس قبل العمل ولا في وقت العمل ولم تكن حركة يديها مطابقة لحركة الجرس في كل الاحيان . وكانت قبل الشروع في العمل تضع يديها على المائدة فيأتي احد الحاضرين بالجرس ويضعهُ بينهما . ولم يروا ادنى علاقة او اتصال محسوس بين يديها وبين الجرس لا قبل العمل ولا في اثنائه ولم يروا شيئاً من هذا على الصور الفوتوغرافية

ثم امتحنت بطريقة جديدة لم تجرب قبلاً وهي من قبيل التجارب الكيماوية فجيء بقطعة من الكرتون الابيض ووضعت عليها نقطة كبيرة من مذوَّب كلوريد الحديد وعلى ٢٥ او ٣ سنتيمتراً منها نقطة اخرى من مذوَّب فروسيانيد البوتاسيوم ولا يخفى انهُ يتكوَّن من امتزاج هذين السائلين مركَّب ازرق اللون يعرف بازرق بروسيا وهو فروسيانيد الحديد . فوضعت الفتاة يدها فوق النقطتين على ارتفاع بضع سنتيمترات عنهما واخذت تحركها تارةً الى اليمين وتارةً الى اليسار وبعد دقائق قليلة رأى الحاضرون ان لون النقطتين اخذ يزرق شيئاً فشيئاً وظهرت خطوط زرقاء دقيقة جدًّا بين النقطتين منها خط في الوسط وسائر الخطوط تقطعهُ على زوايا مختلفة . وقد فتشت يدها تفتيشاً مدققاً بعد التجربة فلم يرَ فيها اثر ما من المادة المعروفة بازرق بروسيا

ومن الاعمال التي عملتها رفعها زجاجة صغيرة عن المائدة دون ان تمسها وقبل ان تفعل ذلك ثنت كمها ورفعتهما الى ما فوق مرفقيها ثم جيء لها بماء وصابون فغسلت يديها ونشفتها بمنشفة اعطيت لها لهذا الغرض

ثم وُضعت عصابة على عينيها وفحص الحاضرون يديها فحصاً مدققاً وامرُّوا سكيناً بين اظافرها وانامِلها ليتحققوا انهُ لا شيء بينها وان احد الحاضرين فامسك يدها اليمنى وآخر امسك باليسرى وقاداها الى المائدة ووضعا يديها عليها ولم تعد ترفعهما عن المائدة بعد ذلك . ثم عملت اعمالاً مختلفة وجيء بعدها بزجاجة صغيرة ارتفاعها ١٠ سنتيمتراً وفيها قليل من ماء

الكولونيا فوضعت على المائدة بين يديها على مسافة منهما فكانت كلما حرّكت يديها تحرك الزجاجة لكنها لم ترتفع عن المائدة فطلبت الفتاة ان يؤذن لها ان تمغط الزجاجة فاذنوا لها لكنهم اشترطوا عليها ان لا تمسها فقبلت بهذا الشرط واخذت تحرك يديها على جانبي الزجاجة حركات افقية وعمودية واتفق انها مست الزجاجة باحدى يديها فطلبت من الحضور ان يفحصوا الزجاجة و يفتشوا يديها مرة اخرى ففعلوا واعادوا الزجاجة الى مكانها على المائدة والمسافة بينها وبين كلٍّ من يديها من ستة سنتيمترات الى ثمانية فلم تمض دقائق قليلة حتى اخذت الفتاة ترفع يديها والزجاجة ترتفع معهما الى ان بلغ ارتفاعها ثلاثين سنتيمتراً او اربعين فوق المائدة ولبثت كذلك هنيهة وسقطت

وقد عملت هذه الفتاة اموراً اخرى غير ما ذكر وشهد الحاضرون بصحة اعمالها وكتبوا تقريراً ذيلوه باسمائهم اهم ما جاء فيه انهم كانوا يفتشون يديها والادوات التي ترفعها تفتيشاً مدققاً كل مرّة وانها لم تمس شيئاً من هذه الادوات بل كان احد الحاضرين يضعها بنفسه على المائدة وان الظواهر لم تكن تقع فجأة بل كانت الفتاة تنبه الحاضرين اليها قبل حدوثها وانهم لم يشتبهوا بخداعها مطلقاً . والذين وقعوا هذا التقرير جماعة من علماء الطبيعة في مدينة وارسوفيا

والذين يعتقدون بصحة هذه الاعمال واشباهها يقولون ان في الجسم قوة لا نعلم نواميسها حتى الآن لكن يمكن اخراجها من الجسم في احوال خصوصية فتؤثر في الاجسام الجامدة وتحركها عن بعد بغير اتصال محسوس ويسمون هذه القوة (Telekinesia) اي الحركة عن بعد . وكتب بعضهم في احدى المجلات يقول ان الاطباء وعلماء الطبيعة لا يصدقون بهذه القوة لانها على زعمهم مخالفة للنواميس الطبيعية المعروفة فالاجسام الجامدة لا تتحرك ما لم تحركها قوة من الخارج اما مباشرة او بواسطة من الوسائط فيظنون ان البحث في الظواهر التي تخالف هذا الناموس لا يليق بالعلماء لكنها في الحقيقة غير مخالفة له لان القوة التي تحرك الجماد في مثل هذه الاحوال تنتقل اليه بوسائل لا نعرفها حتى الآن

وكتب آخر يقول ان اعمال اسابيا بلادينو لم يعد في الامكان انكارها فاذا امكنها ان ترفع المائدة عن الارض بحضور شهود عدول متعصبين عليها والغرفة التي هي فيها ينيرها مصباح كهربائي قوته ١٦ شمعة ورجلان ممسكان بقدميها وركبتيها ويداها ظاهرتان للعيان فوق المائدة — اذا امكنها ان تفعل ذلك لم يبقَ سبيل الى الارتياب في مثل هذه الاعمال فاما ان يكذب الواحد منا حواسهُ او يقول ان هذه الامور كلها خداع . اما الذين شاهدوا

هذه الاعمال فاكثرهم يعتقد بصحتها فني الانسان قوة لا نعرف ماهيتها والاحرى بالعلماء ان يبحثوا في هذه القوة فان الاعتقاد بالارواح خارج عن الموضوع ولو اعتقد بها بعض الباحثين في هذه الظواهر »

هذا آخر ما قرأناه في هذا الباب والذين حضروا الاعمال التي ذكرناها وشهدوا بصحتها اكثرهم من المدرسين للعلوم الطبيعية والكيماوية ولكن اذا ثبت ان واحداً منهم كان متواطئاً معها على الخداع لاسيما وان الاعمال تجري ليلاً وعلى نور ضئيل لم يتعذر عليهما ان يخدعا غيرهما

احياء الآداب العربية

قدّم حضرة احمد زكي بك كاتب السر الثاني لمجلس النظار مذكرة الى سعادة حشمت باشا ناظر المعارف « عن الاسباب والوسائل المؤدية لاحياء العلوم والآداب العربية بمصر » مع مجموعة من الكتب التي استنسخها بالفوتوغرافية واستحضرها من الاستانة واوربا . فلمعن سعادة الناظر نظره فيها وقدّم تقريراً الى عطوفة رئيس النظار قال فيه « ان المذكرة تشير الى مبلغ الاريحية التي كان يجود بها ملوك مصر وسلاطينها والى مقدار المساعي المتواصلة التي بذلها رعاياهم لاعلاء شأن الحضارة الاسلامية وازدهاء رونقها في بلاد الشرق فكانت النتيجة من هذا العمل المزدوج ان ظهرت في سماء المعارف العربية كتب جليلة حافلة بالبحث في الموضوعات المفيدة في كل فن ومطلب ولكن لسوء الحظ قضي بان لا يصل الى ايدينا من تلك المصنفات الثمينة سوى النزر اليسير . ثم جاء دور الافول فكان من دواعي الانحطاط ان مصر اضاعت ذخائرها وكنوزها في اثناء التقلبات التي اصابتها والمحن التي توالت عليها مما لا فائدة من ترديد ذكراه الآن فانطفأ ذلك السراج الوهّاج وخبا ذلك الذكاء المصري بيد ان شعاعاً ضئيلاً من الأمل تبدّى في الافق فانبعث معهُ ذلك الذكاء من مرقده بعد ان كان الناس يظنونهُ قد دخل في خبر كان ولكنهُ في الحقيقة انما كان في سبات لا في ممات والفضل في تجدد هذه الحياة الادبية راجع الى محمد علي الكبير والى حفيده اسماعيل

« لذلك توخى صاحب المذكرة ان يستفيد من هذه اليقظة الادبية فاخذ يعمل على ايجاد الوسائل اللازمة لتجديد عهد الآداب العربية في ظل خديوينا المحبوب عباس الثاني الذي تعود ان يقفو آثار اسلافه الفخام في سلوك المكارم وتجديد مفاخر المآثر

« والوصول الى هذه الغاية التي ما زال ينشدها واضع المشروع قد اقترح تنظيم دار الكتب الخديوية تنظيماً يشمل جميع فروع الاصلاح التي تستوجبها مكانتها فتأتي بالثمرة المطلوبة وتقوم بالخدمة الواجبة عليها

« واشار الى انهُ يجب ارجاع المطبعة الاهلية الى مجيد عملها السابق وذلك بطبع التآليف التي تفخر بها علماء مصر حتى يتسنى لاهل الجيل الحاضر ان يشعروا عن ساعد الجد ويواصلوا سلسلة الابتكار في العلوم والآداب التي بدأ بها اجدادهُ الامجاد

« وقد رأى من الواجب عليهِ ان لا يقف عند الاشارة الى نظريات مبهمة او ابداء رغائب مجردة عن وسائل التنفيذ مما لا يكون كفيلاً باستكمال وسائل النجاح فلذلك افرغ وسعهُ وبذل جهدهُ ولم يضنَّ بشيءٍ من مالهِ ووقتهِ وراحتهِ حتى تيسرت لهُ كل الاسباب المؤدية لتحقيق الخطة التي رسمها لنفسهِ وذلك انهُ قرن العلم بالعمل وأتبع القول بالفعل فانتهز فرصة الانقلاب الذي حصل في الدولة العلية وشخص الى الاستانة وتمكن هناك من استخدام الفوتوغراف في نقل جلائل المؤلفات التي تزدهي بها الآداب العربية خصوصاً تلك التي كانت فيما مضى من اجمل الذخائر في الخزائن المصرية

« ولم تقف همة هذا الباحث عند حد التنقيب وتلمس تلك الآثار من كنوزها في القسطنطينية بل واصل سعيهُ ايضاً في ربوع العلم باوربا لاستيفاء كل المعدات ولاتمام عملهِ على احسن حال

« هذا وقد الم في مفكرتهِ بايضاح وجيز الى كل واحد من هذه المصنفات النادرة فكتب نبذة قصيرة تكشف عنها اللثام وتبين الفوائد التي تعود على اللسان العربي والامة المصرية من العناية بطبعها وتعميم نشرها . ولقد رأيت من الواجب ان استعلم عما اذا كان لهذه المصنفات او لبعضها اثر ما في دار الكتب الخديوية او في احدى مكتبتي الازهر الشريف والمجلس البلدي بالاسكندرية فوافتني هذه المعاهد الثلاثة ببيانات تسمح لي بالتصريح بان المؤلفات التي نقلها حضرة احمد بك زكي واستحضرها لا توجد اصلاً ضمن مكاتبنا وبجامعنا الاهلية وانها لم تطبع حتى الآن وان في طبعها نفعاً عظيماً للمستورين من ابناء مصر وسائر اهل العلم على الاطلاق

« ولا ريب في ان حكومة الجناب العالي الخديوي الآخذة بناصر الآداب العربية العاملة على تروجها وتعميم الانتفاع منها ستقدر هذه الكنوز حق قدرها وتعمل على اقتنائها واضافتها الى خزانة كتبها النفيسة خصوصاً وان معظمها مما جادت بهِ قرائح البارعين من المصريين

« وليس من الصواب ان يقف عمل الحكومة الخديوية عند هذا الحد من الاغتباط

بالحصول على هذه المجموعة واضافتها الى دار الكتب الخديوية بل يتحتم علينا ان نبادر الى السعي في طبعها بحيث لا يمضي قليل من الزمن حتى تصبح منهلاً سائغاً للقاصد ومورداً عذباً لكل طالب

« ولقد آن للحكومة الخديوية ان تعضد العلماء المصريين وتفتح لهم مجال البحث ليتمكنوا من الاستمرار على التنقيب والتأليف فيعيدوا في مصر عصر آبائهم ويصنعوا مثل ما صنعوا والي لعلى يقين من انهم سيجدون في المجموعة التي توفر حضرة احمد بك زكي على تكوينها وايجادها جميع الوسائل التي تبعث فيهم روح العمل فيحفل عود الدرس ويثمر بما يعود بالنفع العام على مصر وغيرها من اقطار الشرق

« وأرى لاطراد هذه الحركة ان نبدأ منذ اليوم بطبع الموسوعتين اللتين تفتخر بهما مصر والعرب على الاطلاق واعني بهما « نهاية الارب في فنون الادب » للنويري و « مسالك الابصار في ممالك الامصار » لابن فضل الله العمري لان هذين الاثرين الجليلين قد انعدما من بلادنا في جملة ما اضاعته من الكنوز الغوالي على اثر ما انتابها من الطوارق والطوارىء

« ولقد اعيى العلماء الغربيين استكمال هذين الاثرين النفيسين فلم يوفقوا الى جمع اشتات هذه الضالة المنشودة مع ما بذلوه من الجهد في كثير من الازمان حتى اتاح الله لاحد مواطنينا تيسر له بعد متاعب احتملها مدة عشرين عاماً واهتدى لجمع المواد والاجزاء التي يتالف منها هذان السفران واثبتها كلها بالفوتوغراف فحق لنا بعد ذلك ان نهنىء انفسنا على هذا النجاح الباهر

« واذا اخذنا في طبع هاتين الموسوعتين بسعد الجناب الخديوي العالي الذي تفضل فاظهر عنايته العالية بامرها فلا شك ان الاقبال على اقتنائهما سيكون عاماً عند جميع الطبقات وخصوصاً عند الفئة المولعة بالدرس وارباب العقول المستنيرة بمصر والشرق بل يتعداها الى الجامعات ودور الكتب في البلاد الاجنبية والمستشرقين الذين يقدرونهما حق قدرها لانهم طالما استفادوا منهما

« وعلى ذلك فاني اشير بتشكيل لجنة من اهل الدراية تختارها نظارة المعارف العمومية لتهيئة هذين السفرين للطبع ويكون من خصائصها النظر في الاصول وضبطها بالدقة قبل تسليمها للطبعة الاهلية لان الطبع اذا ما باشرته الحكومة الخديوية بنفسها واشرفت عليه برعايتها يجب ان يكون مستوفياً لكل اسباب الكمال ليجيء مناسباً لحاجات العلم والنقد في العصر الحاضر

« بقي علينا ان ننظر في تدبير المال اللازم للشروع في هذا العمل الخطير وهو متوفر لدينا

لوجود المبلغ الاحتياطي في دار الكتب الخديوية فان هذا الاحتياطي مخصص بطبيعة الحال لاحراز واستنساخ وطبع المخطوطات العربية وقد بلغ في آخر اغسطس الماضي ٩٣٩٢ جنيهاً مصرياً ويجب الاشارة الى ان استخدام ذلك المبلغ الاحتياطي في هذا السبيل النافع ستنتج عنهُ ثمرة مفيدة لدار الكتب الخديوية من الوجهة المادية المحضة فضلاً عما يترتب عليهِ من المزايا الادبية الكثيرة

اما الكتب المشار اليها آنفاً . فهذه اسماؤها

﴿ مرسومات ﴾

نهاية الارب في فنون الادب لشهاب الدين النويري

مسالك الابصار في ممالك الامصار لابن فضل الله العمري

جوامع العلوم لفُرَيْعين تلميذ ابي زيد احمد بن سهل البلخي

﴿ ادب وبلاغة وانشاء ﴾

الفاخر للمفضل الضبي

ديوان الحماسة الصغرى المعروف بالوحشيات لابي تمام

سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي

التسهيل بالتخيل وهو المعروف بتسهيل السبيل الى تعليم الترسيل للحُمَيْدي

رسائل وخطب واشعار السلطان الملك الناصر يوسف صلاح الدين الايوبي من جمع حفيدهِ

مجموعة ترسل القاضي الفاضل عبد الرحيم البياني

﴿ حديث ﴾

فنون العجائب

اكرام الضيف

﴿ آداب الملوك ﴾

كتاب التاج للجاحظ

محاسن الملوك

رسائل الملوك ومن يصلح للسفارة ومن امر بارسال رسول ومن نهى عن ذلك وكيف ينبغي لمن أُرسل الى ملك ان يعمل في الاحتياط لنفسهِ ولمن ارسلهُ ومن ذُمَّ من الرسل ومن حُمِد لابي علي الحسن المعروف بابن الفراء

كتاب تنبيه الملوك (وسياساتهم في تدبير الامم والممالك)

﴿ التاريخ ﴾

كتاب المقتالين من الاشراف في الجاهلية والاسلام لمحمد بن حبيب

ذيل تجارب الامم وتعاقب الهمم في وقائع العرب والعجم لابن مسكويه تأليف ابي شجاع احد وزراء الدولة العباسية

درر التيجان وغرر تواريخ الزمان لابي بكر بن عبدالله بن ايبك الدواداري المصري كنز الدرر وجامع الغرر له ايضاً

﴿ التراجم ﴾

إلباه الرواة على أنباه النحاة للقاضي الاكرم الوزير القفطي

نزهة الالباب في الالقاب لابن حجر

التأليف الطاهر في شيم الملك الظاهر القائم بنصرة الحق ابي سعيد جقمق لابن عربشاه

هدية العبد القاصر الى الملك الناصر ابي السعادات محمد بن السلطان الملك الاشرف لعبد الصمد الصالحي

سبك النضار وكشف المفاخر ونثر الدرر ونظم الجواهر من سيرة المقر الاشرف السيفي اقباي الاسد الظافر كافل المملكة الغزية (في ايام قايتباي) لعبدالله بن محمد بن عبدالله الزكي الغزي الحنبلي

﴿ النسب ﴾

شجرة النسب النبوي الشريف تأليف السلطان الملك الاشرف ابي النصر قانصوه الغوري

﴿ الجغرافيا ﴾

صور الاقاليم الاسلامية لابي زيد احمد بن سهل البلخي (بالخرط)

صورة الارض وصفة اشكالها ومقدارها في الطول والعرض واقاليم البلدان ومحل العامر منها والعمران من جميع بلاد الاسلام بتفصيل مدنها وتقسيم ما تفرد بالاعمال المجموعة اليها (بالخرط)

هيئة اشكال الارض ومقدار صورها في الطول والعرض (بالخرط)

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق المعروف بكتاب رجار Roger للشريف الادريسي (بالخرط)

﴿ الرحلة ﴾

تاريخ الامير ليشبك الظاهري (وهو رحلة الجنود المصرية وفتوحاتهم في آسيا الصغرى في ايام السلطان الملك الاشرف قايتباي)

﴿ علم حفظ الصحة ﴾

كمال الفرحة في دفع السموم وحفظ الصحة لتقوسوني الطبيب في عصر السلطان قانصوه الغوري

﴿ علوم طبيعية وميكانيكية ﴾

سرور النفس بمدارك الحواس الخمس لابن المكرّم صاحب لسان العرب

الباهر في علم الحيل

الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل (بالاشكال والصور)

﴿ علم الحيوانات ﴾

الدر المطابق في علم السوابق (في طب الخيل وقد ظفر به ملك الارمن في خزائن العباسيين عند ما هاجم مع التتر فنقله الى بلاده وامر بترجمته ثم ضاعت النسخة العربية الاصلية وقد ظفر جنود مصر بالترجمة في بلاد الارمن حينما فتحوها فترجمة الى العربية ابن الخليفة العباسي بمصر بمساعدة بعض الاسرى من الارمن)

طب الطيور (مستخرج من خزانة الرشيد)

﴿ علم المعادن ﴾

الجماهر في الجواهر لفيلسوف الاسلام بالهند ابي الريحان البيروني

ازهار الافكار في جواهر الاحجار للتيفاشي

﴿ علم الفلك ﴾

التفهيم لصناعة التنجيم لابي الريحان البيروني

علم الساعات والعمل بها لرضوان بن محمد الخراساني بخط يملك بن عبدالله القيجاقي

﴿ علم الموسيقى ﴾

كتاب العود والملاهي للفضل الفضي

كشف الغموم والكُرب بشرح آلة الطرب (بالصور والاشكال)

﴿ علم الحرب ﴾

العز والمنافع للمجاهدين بآلات البارود والمدافع لابن غانم الاندلسي (بالاشكال)

الانيق في المناجيق (بالصور والاشكال)
التذكرة الهروية في الحيل الحربية للسائح الهروي

﴿ ديانات قديمة ﴾

فلسفة الوثنيين (وهو قطعة بقيت من كتاب شمطس الذي احرقهُ بعضهم وترجمها احد المسلمين مع شرح الاناشيد والالحان الموسيقية الخاصة بديانة الوثنيين وبديانة المجوس)
كتاب الاصنام لابن الكلبي

﴿ فنون متنوعة ﴾

لطائف المعارف النيسابوري
عين السبع مختصر طرد السبع للصلاح الصفدي
الالمام باداب دخول الحمام
الكوكب الدري في اجوبة السلطان الغوري
نفائس المجالس السلطانية في حقائق الاسرار القرآنية لجمعية من العلماء في عصر السلطان الغوري وهو في جملتهم
الترقق في العطر للفيلسوف الكندي
كتاب الاطعمة المستعملة في مصر على عهد سلاطين المماليك
الوصلة الى الحبيب في وصف الطيبات والطيب

ثم ان عطوفة رئيس النظار رفع مذكرةً في هذا الموضوع الى مجلس النظار اقترح فيها تكليف نظارة المعارف بما يأتي

اولاً المبادرة بدون تأخير في تدبير الوسائل التي تضمن احياء الآداب العربية حسب البيانات التي اوضحها سعادة احمد حشمت باشا في تقريره

ثانياً تخصيص المبلغ الاحتياطي المتكون بدار الكتب الخديوية لهذا الغرض

ثالثاً الابتداء في احياء الآداب العربية بطبع ونشر الموسوعتين الكبريين المعروفتين باسم « نهاية الارب في فنون الادب » لشهاب الدين النويري و « مسالك الابصار في ممالك الامصار » لابن فضل الله العمري

رابعاً الاستمرار على موالاة هذه النهضة التجديدية بطبع ونشر بقية الكتب التي اشار

اليها حضرة احمد زكي بك حسب الكشف المرفق بهذه المذكرة ثم سائر المخطوطات العربية الاخرى الكثيرة الندرة العظيمة الفائدة

الى ان قال : — « هذا واني ارى من جهة اخرى ان ضمان النجاح لهذه الحركة الخصبة يوجب على مجلس النظار ان يسهل على نظارة المعارف العمومية القيام بمهمتها بالفلاح الذي تبتغيه لهذا الاصلاح فلذلك يحسن بحكومة الجناب الخديوي المعظم ان تكلف نظارة المالية بامرين اثنين ايضاً وهما :

اولاً جعل مبلغ الف جنيه تحت تصرف نظارة المعارف العمومية بصفة اعانة خصوصية لطبع الموسوعتين المذكورتين قبل

ثانياً اصدار الاوامر اللازمة الى مطبعة بولاق الاهلية للاسراع في انجاز اعمال الطبع بكل ما في الامكان وأملي وطيد في ان المجلس يتكرم بالموافقة على ما ابديته من الاقتراحات ليجري العمل بانتظام ونتق المرغوب فان انجاز هذا المشروع على اجمل حال مما يجعل بحسنات هذا العصر ويكون غرة في جبين الدهر تشهد بارتقاء العلوم والآداب بين مولانا الخديو ناشر رايات العدل ورافع اعلام العلم والفضل »

فاطلع مجلس النظار على المذكرة المقدمة من رئيسه وعلى تقرير ناظر المعارف وبعد المفاوضة قرر الموافقة على جميع الاقتراحات التي تضمنتها تلك المذكرة وتكليف نظارتي المعارف العمومية والمالية بتنفيذها

فنهنئ صديقنا زكي بك بان الحكومة المصرية قدرت همته قدرها وعمله قدره ولم تسمح ان تذهب اتعابه سدى

والناظر في الكتب المذكورة آنفاً يرى ان اكثر الكتب العربية يرى ان الفائدة المادية منها لابناء هذا العصر قليلة في جنب الفوائد التي يمكن ان تنال من الكتب الحديثة . فقانون ابن سينا افضل ما وضع في علم الطب بالعربية وكان يدرّس في المدارس الطبية الاوربية ولكن ما من احد منا اذا مرض ابنه يستدعي له طبيباً يبني معالجته للامراض على قانون ابن سينا . والزيج الصابي افضل ما وضع بالعربية في علم الفلك ولكن ما من عالم فلكي الآن يبني حساباته الفلكية على هذا الكتاب . واذا اعتمدنا على كتب العرب ووسائلهم في الزراعة والصناعة والتجارة والملاحة وفنون الطب والحرب وما اشبه ولم نعتمد على الكتب الحديثة والعلوم الحديثة والوسائل الحديثة رجعنا القهقرى وصار شأننا مثل شأن اسلافنا منذ عشرة

قرون او عشرين قرناً ونضطر حينئذٍ ان نسافر من مصر الى الاسكندرية او الى الخرطوم راكبين على الجمال والبغال وان نحارب الاوربيين بالرمح والمزراق وان ننسخ كل كتبنا نسخاً وان ننير بيوتنا بمصابيح الزيت وان لا نستعمل البخار ولا الكهربائية ولا شيئاً من الآلات والادوات الحديثة

ولكن الكتب القديمة كثيرة الفوائد الادبية وان قلت فوائدها المادية وقد تكون فوائدها الادبية اغزر من فوائد الكتب الحديثة . ونحن نرتاح الى مطالعة رحلة قديمة مثل رحلة ابن جبير على ما فيها من الخطإ والسخافة اكثر مما نرتاح الى مطالعة رحلة حديثة لاننا نرى في الاولى اموراً كثيرة لم تكن نعلمها عن احوال الناس وطرق المعيشة في الزمن الذي كان فيه ابن جبير . ونرتاح الى مطالعة حكم الحكماء الغابرين وجوامع كلمهم وبليغ اشعارهم اكثر مما نرتاح الى مطالعة ما يماثل ذلك من اوضاع المحدثين . ونسر برؤية التماثيل التي صنعها مهرة النقاشين من اليونان والرومان كما نسر برؤية ما يماثلها من اعمال النقاشين المحدثين . ولا يخفى ان الحياة غير مقصورة على المأكل والمشرب والملبس والمأوى اي على ما يحتاج اليه الجسد بل تشمل ما تحتاج اليه النفس ويرتاح اليه العقل . وهذه الكتب المذكورة آنفاً قد لا تعلّم احداً كيف يتقن زراعته او يربي ماشيته او يشفي مرضه او يحفظ صحته او ينسج ثوبه او يسهل عمله وقد لا يستفيد القطر المصري منها ما يساوي نفقات طبعها . والاهتمام بنشر كتاب في زرع القطن وحلجه او زرع الكتان وتصفيته واستخراج الياقه يفيد القطر المصري مالياً اضعاف اضعاف ما يفيده طبع هذه الكتب . ولو تولت الحكومة المصرية طبع هذه الكتب وهي مضطرة الى الانفاق على الحاجيات فقط ولا تستطيع الانفاق على شيء من الكماليات او لو تولى طبعها رجل ليس عنده ما يكفي لقوته الضروري لقلنا ان الحكومة معذورة والرجل مجنون ولكن الحكومة في سعة مالية وهي تنفق كل سنة الوفاً كثيرة على الكماليات فاحرى بها ان تنفق بعض ذلك على نشر هذه الكتب وامثالها . فنحن نرحّب بعملها ونشكرها عليه سلفاً ونعده من خير الاعمال الادبية التي عملها ناظر المعارف العمومية والوزارة السعيدية . ونقترح على الذين يتولون طبع هذه الكتب ان يلحقوا بكل منها فهرساً على حروف المعجم يكون شاملاً لكل ما فيها حتى تسهل مراجعتها . وحبذا لو علقوا عليها بعض الحواشي التي تفسر غامضها وتزيل اشكالها . ونكرر التهنئة لحضرة زكي بك لانه فاز بمقامه ونال ما عجز عن نيله العلماء المستشرقون فحق له التكبر من كل ناطق بالضاد

باب الزراعة

تسميد القطن

ظهر كتاب الجمعيَّة الزراعية الخديوية عن سنة ١٩٠٩ وفيهِ وصف التجارب التي جربتها في تسميد القطن في اماكن مختلفة من القطر المصري بقلم المستر هيوز كبياوي الجمعيَّة وقد قال فيها ما خلاصتهُ

ان مسألة تسميد القطن من المسائل الهامَّة جدًّا من وجهٍ مالي وقد تكرَّر البحث فيها ولكن لم يكن لدى الباحثين تجارب يعتمد عليها . ولا ينتظر ان توضع قواعد عامَّة لتسميد ارض القطن لان فعل السماد يتوقف على نوع الزراعة التي كانت في الارض قبل زرع القطن فيها وعلى كيفية خدمة القطن

والعادة المتبعة في القطر المصري ان تسمد ارض القطن بالسباخ البلدي الموجود عند الفلاح اي زبل المواشي واذا كان السباخ البلدي غير كافٍ فالغالب ان يضاف اليهِ السباخ الكفري من الاكوام اي من اطلال البلدان القديمة المتهدمة . وما دام الفلاحون يوالون زرع الارض ولا يدعونها تستريح فلا بدَّ من تسميدها بسماد كافٍ حتى تسترد قوتها فاذا امكن ان تخلو من الزراعة بضعة اشهر في السنة استراحت واستردَّت بعض ما خسرتهُ من المواد القابلة الذوبان ولكن اذا تعذَّر اخلاؤها من الزراعة واذا لم تحسن خدمتها فلا بدَّ لها من السماد

ولما كان لا بدَّ من استعمال السماد الكيماوي في القطر وجب ان يعلم هل استعمالهُ افيد في زرع القطن او في زرع الحبوب او في زرع البرسيم ولذلك طلب مجلس ادارة الجمعية من بعض ارباب الزراعة في جهات مختلفة من القطر ان يبيحوا لها تجربة التجارب في جانب صغير من اطيانهم وهي تقدم النقاوي والسماد اللازم لاجراء تلك التجارب

فاجاب كثيرون من ارباب الزراعة طلبها واختارت ٥١ قطعة تختلفة التربة احدى عشرة منها في الوجه البحري وثلاث في الوجه القبلي وواحدة في الفيوم . واختارت نقاوي القطن

العفيفي للوجه البحري والاشموني والعباسي للوجه القبلي . وجربت زراعة العفيفي والعباسي والينوفتش من غير سماد في الوجه البحري . وكانت كل قطعة تقسم الى تسع قطع صغيرة وتسمد هكذا

القطعة الاولى تسمد بالسباخ البلدي بمعدل عشرة امتار مكعبة للفدان

والقطعة الثانية تسمد بالفصفات الاعلى بمعدل ٢٠٠ كيلو للفدان

والقطعة الثالثة تسمد مثل الثانية ويضاف اليها ايضاً ٧٥ كيلو من كبريتات الامونيا

والقطعة الرابعة تسمد بنترات الصودا بمعدل مئة كيلو للفدان

والقطعة الخامسة تسمد بنترات الصودا بمعدل مئة كيلو وبالفصفات الاعلى بمعدل مئتي كيلو

والقطعة السادسة تسمد بالفصفات الاعلى بمعدل مئتي كيلو وبالنترات بمعدل مئة كيلو وبكبريتات الامونيا بمعدل ٧٥ كيلو

والقطعة السابعة تترك من غير سماد

والقطعة الثامنة تسمد بالفصفات الاعلى فقط بمعدل مئتي كيلو

والقطعة التاسعة تسمد بالفصفات الاعلى بمعدل مئتي كيلو وبكبريتات الامونيا بمعدل ٧٥ كيلو للفدان

وكان مندوبو الجمعية يراقبون وضع السماد وجمع القطن ووزنهُ . وحلّلت الجمعية تربة هذه الاراضي تحليلاً كيماوياً . وكانت التجربة الاولى في قليوب في اطيان ابرهيم باشا مراد والثانية في كفر الحمام في اطيان دائرة القصر العالي . والثالثة في ميت جابر في اطيان قلسم بك مراد . والرابعة في اشطاب في اطيان محمد بك الاتربي . والخامسة في السنبلاوين في اطيان عثمان بك سليط . والسادسة في المنصورة في اطيان محمد بك الشناوي . والسابعة في التوفيقية في اطيان علي بك مهنا . والثامنة في منشاة حماد في اطيان حمد افندي اسمعيل عمار . والتاسعة في كفر ربيع في اطيان منصور بك ابي حسين . والعاشرة في دمنهور في اطيان حسين بك الحبشي . والحادية عشرة في محلة روح في اطيان علي افندي عبد الرحمن . والثانية عشرة في بني خضير في اطيان عبدالله بك الوكيل . والثالثة عشرة في البجيرية في اطيان سلطان بك يكن . والرابعة عشرة في بيلا في اطيان المرحوم بطرس باشا غالي . والخامسة عشرة في المنيا في اطيان علي باشا شعراوي

وهاك محصول كل قطعة من القطع التسع التي جُرّبت فيها انواع السماد المذكورة آنفاً على النسبة المذكورة فيها وذلك في كل من هذه التجارب الخمس عشرة

التجربة	القطعة ١ السمدة بالسباخ البلدي		القطعة ٢ السمدة بالنصفات الآزوتية		القطعة ٣ السمدة بالنصفات وكبريتات الامونيا		القطعة ٤ السمدة بنترات الصودا		القطعة ٥ السمدة بالفوسفات والنصفات		القطعة ٦ السمدة بالفوسفات والنصفات وكبريتات الامونيا		القطعة ٧ من غير سماد		القطعة ٨ السمدة بالنصفات		القطعة ٩ السمدة بالنصفات وكبريتات الامونيا	
	رطل	ق	رطل	ق	رطل	ق	رطل	ق	رطل	ق	رطل	ق	رطل	ق	رطل	ق	رطل	ق
١	٣٧	٣	٧٣	٢	٥١	٢	٧٥	٣	٢٠	٤	٨١	٢	٢٩	٤	٨٧	٤	٠٤	٤
٢	١٧	٦	٦٧	٥	٢٣	٥	٨٠	٦	٥٤	٦	٥٩	٥	١٤	٦	٢٢	٧	٠٤	٦
٣	٢٣	٢	١٣	٣	٥١	٣	٥٢	٤	٩١	٣	٠٦	٤	٣٥	٤	٧٨	٣	٠٧	٤
٤	٧٨	٥	١٧	٢	٥٩	٧	٩٥	٥	٩٧	٥	٨٥	٦	١١	٥	٢٣	٤	٤١	٥
٥	٦٦	٢	٩٥	٢	٦	٢	٢٣	٣	٢٠	٣	٢٢	٢	٤٣	٤	٢٧	٤	٩٣	٣
٦	٥٥	٥	٠٧	٦	٤١	٦	٨٨	٤	٦٢	٥	٢٦	٥	٣٩	٥	٥٢	٥	٣٢	٦
٧	٤٨	٤	٤٣	٥	٣٢	٦	٢٥	٦	٦٢	٦	٦٢	٥	٣٨	٥	٢٠	٥	٤٩	٥
٨	١٩	٦	٨٠	٥	٧٥	٥	٨٩	٥	٢٨	٥	٢٨	٥	٢٤	٥	٨٤	٤	٣٥	٥
٩	٥٦	٦	٧٥	٥	٢٢	٦	٤١	٥	١٩	٤	٧٧	٤	٤٣	٥	٢٨	٤	٤٨	٤
١٠	٥٩	٢	٦٥	٢	٨٢	٢	٤٤	١	٣٩	٣	٢٩	٢	٢٦	١	٣٧	٢	٥٥	٢
١١	٣٤	٥	٥٧	٦	٨٩	٦	٧٦	٥	٩٢	٥	٢٧	٦	٣٨	٥	٥٥	٥	٦٤	٥
١٢	٠٦	٦	٤٠	٧	٤٢	٧	١١	٥	٦٢	٥	٥٢	٥	٨٨	٣	٥٧	٤	٨٤	٣
١٣	٥٠	٢	١١	٣	٥٦	٣	٤٧	٤	٢٣	٤	٣٣	٥	٠٠	٠	١٠	٣	٨٤	٣
١٤	٠٧	٢	٣٩	٢	٨٩	١	٧٨	١	٣٢	٢	٢٣	١	٤٤	٢	٢٦	٢	١٥	١
١٥	٥١	٥	١٥	٥	٤٥	٥	٩٣	٥	٢٧	٤	٣٣	٥	٩٦	٤	٩	٣	٢٩	٥
المتوسط	٤٧	٤	٧٩	٤	٩٨	٤	٧٥	٤	٦٩	٤	٦٠	٤	٥٥	٤	٤٠	٤	٤٩	٤

ويرى من هذا الجدول ان الارض التي تركت من غير سماد كان المحصول فيها احياناً اكثر من محصول الارض التي سمدت والاراضي التي سمدت لم يكن فعل السماد الواحد فيها على معدّل واحد دائماً . ويظهر من متوسط هذه التجارب الخمس عشرة ان التسميد بالفصفات وكبريتات الامونيا اصلح من غيره قليلاً ويليه التسميد بالفصفات ثم بالنترات ثم بالنترات والفصفات ثم الترك من غير سماد ثم التسميد بالسباخ البلدي ثم التسميد بالفصفات والكبريتات ثم بالفصفات . والفرق بين التسميد الذي جاء باحسن نتيجة وبين عدم التسميد ٤٣ رطلاً لاغير للفدان وهي لا تكاد تفي بثمن السماد لاسيما وان نجاح التسميد في هذه الحالة غير مكفول دائماً ولذلك يمكن القول ان تسميد القطن لم يأت بفائدة تذكر حسب هذه التجارب ولكن يظهر من تجربتين منها وهي العاشرة والثانية عشرة ان محصول القطن الذي لم يسمّد كان اقل كثيراً من محصول القطن المسمّد

وتناولت التجارب المتقدمة مقدار النصافي ويظهر منها ان مقدار تصافي القطن لا يزيد بالتسميد ولا ينقص بعدم التسميد ولكن التسميد بالفصفات يزيد النصافي قليلاً لانهُ يخفف وزن البزر والتسميد بالنترات والكبريتات يقلل النصافي لانهُ يكبر البزر . وتناولت ايضاً تحليل التربة ومعرفة درجة خصبها ويظهر منهُ ان زيادة الخصب لا تزيد المحصول ولكن يظهر ان زيادة المادة الطينية (الطفالية) تزيد المحصول في الغالب

وقد امتحنت انواع القطن الثلاثة العباسي والينوفش والعفيفي من غير سماد فبلغ متوسط محصول العباسي ٥ قناطير و١٧ رطلاً ومتوسط محصول الينوفش ٤ قناطير و ٥١ رطلاً ومتوسط محصول العفيفي اربعة قناطير و ٩٥ رطلاً

ويظهر من هذه التجارب ايضاً ان التبكير في زرع القطن لا يدعو الى التبكير في جنيه بل ما زرع في ٢٢ مارس صلح للجنية الاولى في ٢ اكتوبر وبعض ما زرع في ١١ ابريل صلح للجنية الاولى في ٦ اكتوبر

والخلاصة اننا لا نرى ان هذه التجارب اوصلت الى نتيجة تفيد الزراع في زرع القطن

خصب الارض ومحصول القطن

قلنا في النبذة السابقة ان خصب الارض لا يؤثر في مقدار محصول القطن على ما ظهر من التجارب التي اجرتها الجمعية الزراعية وايضاحاً لذلك نقول ان الجمعية الزراعية قدّرت خصب الارض بمقدار ما فيها من النتروجين والبوتاسا والحامض الفصفوريك القابلي للذوبان وما

فيها ايضاً من السكا القابلة الذوبان . وهذه المواد من اخص عناصر الخصب ولو لم يتوقف الخصب عليها وحدها

وهاك محصول الفدان في كل من التجارب الاحدى عشرة التي اجريت في الوجه البحري ومقدار ما في الارض من الخصب النسبي

محصول الفدان	رطل	قنطار	الخصب النسبي	السكا القابلة الذوبان
ارض كفر الحمام	١٢	٦	١٣٥	٢٨٢
» اشطاب	٠٦	٦	٢٠٩	٣٣٨
» المنصورة	٩٤	٥	١٦١	٣٣٠
» محلة روح	٩٣	٥	١٦٥	٣٤٢
» التوفيقية	٦٦	٥	١٣٤	٤٢٨
» طنطا	٤٢	٥	٣٠٣	٢٩٣
» كفر ربيع	٣١	٥	١٤١	٣٥٥
» ميت جابر	٧٠	٣	١٨٦	٢٨٤
» قليوب	٦٥	٣	١٠٥	٢١٨
» السيلاوين	٣٥	٣	١٢٠	٣٣٨
» دمنهور	٥٣	٢	٢١٠	٣٠٠

فترى من هذا الجدول ان التجربة التي جُربت في ارض اشطاب بلغ محصول الفدان فيها ٦ قناطير وستة ارطال ونسبة خصب الارض فيها ٢٠٩ والارض التي جربت فيها تجربة مثلها في دمنهور كانت نسبة خصب الارض فيها ٢١٠ ولكن محصول الفدان لم يبلغ سوى قنطارين و٥٣ رطلاً وارض كفر الحمام بلغ محصول الفدان فيها ٦ قناطير و ١٢ رطلاً مع ان خصبها ١٣٥ فقط وارض ميت جابر خصبها ١٨٦ ومع ذلك لم يبلغ محصول الفدان فيها سوى ٣ قناطير و ٧٠ رطلاً

وقد ابان الذين اجروا هذه التجارب ان متوسط مقدار الملح في الاراضي الاربع الاولى ٠٫٢٧ في المئة وفي الاراضي الاربع الاخيرة ٠٫٣٣ في المئة وكان متوسط المحصول في الاولى ٥ قناطير و ٩٤ رطلاً وفي الثانية ٣ قناطير و ٨٠ رطلاً فالفرق كبير في المحصول وقليل في مقدار الملح ولذلك يصعب تعليق الواحد بالآخر

الزيت والزيتون

يرد الى القطر المصري كل سنة من الزيتون ما ثمنهُ اكثر من ثلاثين الف جنيه نصفها من البلاد العثمانية ونحو نصفها من بلاد اليونان. ومن الزيت ما ثمنهُ اكثر من سبعين الف جنيه ثلاثة ارباعها من البلاد العثمانية والربع من فرنسا وايطاليا وبلاد اليونان. وكان الواجب ان تستقل البلاد العثمانية بارسال الزيت والزيتون لو احسنت تنقيتهما لان الحبوب التي زيتها يؤكل في هذا القطر قليلة جداً وزيت الزيتون الجيد من اطيب الزيوت كلها وهو يغني عن السمن اداماً ولا بدَّ من ان يزيد استعمالهُ بازدياد الثروة والرفاهة في هذا القطر فاذا استعمل كل نفس ما ثمنهُ عشرة غروش فقط من الزيت في السنة بلغت مقطوعية القطر المصري منهُ مليوناً ومئتي الف جنيه

والزيتون من اطيب الاثمار التي يؤتدم بها وارخصها واتفعها وهو يسد النقص الموجود في الخبز ولا بدَّ من ان يشيع اكلهُ فاذا بلغ ثمن مشوط ما يأكلهُ النفس في السنة غرشاً واحداً بلغت مقطوعية القطر المصري منهُ ١٢ الف جنيه في السنة ولا بدَّ من ان تزيد على ذلك كثيراً ولا ينتظر ان تشيع زراعة الزيتون في هذا القطر لان ما يتوفيهِ قليل الزيت فعلى البلاد السورية ان تكثر من زراعتهِ لانهُ لا بدَّ من ان تزيد مقطوعية الزيت والزيتون في القطر المصري بازدياد ثروتهِ ويجب على الذين يزرعون شجر الزيتون ويتاجرون بثمرهِ وزيتهِ ان يعتنوا باتقاء الزيتون وتمليحهِ وباستخراج الزيت وترويقهِ حتى يكون زيتونهم وزيتهم اجود مما يأتي من فرنسا

وقد طرأ على شجر الزيتون في ساحل بيروت طارئ جعلهُ يحمل سنة وينقطع عن الحمل أخرى ومنهُ ضرر لان السنة التي يكثر حملها يرخص زيتونها فيقل ربح اصحابهِ والزيت الذي يبقى منها الى السنة التالية لا يبقى جيد الطعم غالباً كالزيت الجديد. ويمكن ان تعالج هذه الآفة بمنع حمل بعض الاشجار في السنة التي يكثر حملها فتحمل في السنة التالية فيصير بعض الشجر يحمل هذه السنة وبعضها يحمل في السنة التالية وهكذا فلا تخلو سنة من زيتون وزيت

العنب السوري

أهدي الينا في اواخر الصيف الماضي صندوق من عنب بحمدون وصل الى القاهرة سليماً كل حبة منهُ وبقي عندنا اياماً وحبوبهُ سليمة على نضارتها لان نوعهُ مما يحتمل السفر. وقد بلغنا ان هذا العنب يرسل الى اثينا فيسافر اليها براً وبحراً ويصلها سليماً كأنهُ قطف فيها

ويرد الى القطر المصري كل سنة من العنب عشرة ملايين كيلو يقدر ثمنها بستين الف جنيه فكأن الكيلو يقدَّر بستة مليمات مع انهُ يباع في الغالب بعشرين مليماً وكل هذا العنب تقريباً يرد من البلاد العثمانية من سورية وبر الاناضول ولا بدَّ من ان يزيد مقدارهُ رويداً رويداً بازدياد ثروة القطر ورفاهة سكانهِ . ووصولهُ الى المدن والبنادر الكبيرة حيث توجد محطات سكك الحديد سهل ولكن وصولهُ الى الارياف صعب الاَّ اذا كان من نوع العنب الذي اشرنا اليهِ آنفاً فانهُ يمكن حملهُ على الدواب والتنقل بهِ من مكان الى آخر من غير ان يتلف

وجيدا لو جُرِّب زرع هذا العنب في القطر المصري فان تربة مصر وهواءها صالحان لنمو العنب ولكن العنب الفيومي الجيد يصعب حفظهُ زمناً طويلاً ونقلهُ مسافات شاسعة والذي يرسل منهُ الى القاهرة يباع في يومهِ واذا بقي منهُ شيء الى الغد لم يعد صالحاً ولذلك لا يسهل نقلهُ الى الارياف وبيعهُ في بلاد الفلاحين كما يسهل نقل العنب المشار اليهِ آنفاً

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي نشرح فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام والقيام بالشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

انفاق النساء على ملابسهنَّ

كتبت احدى السيدات في مجلة نسائية تقول ان اثمان ملابس النساء قد زادت كثيراً في ايامنا فصارت ستة اضعاف ما كانت عليهِ قبلاً وان اصناف الملابس التي تقتنيها المرأة اذا كانت ممن يتبعن الازياء قد صارت ثلاثة اضعاف ما كانت تقتنيهِ قبلاً او اكثر من ذلك فكان يكفيها مثلاً ثلاث برانيط في الفصل الواحد اما الآن فانها اذا اقتنت ١٢ برنيطة في الفصل لا تعدُّ مبذرة

وقد ذكرت هذه السيدة برنيطة مزينة بريش النعام بلغ ثمنها خمسين جنيهاً واحذية بلغ ثمن الزوج منها من ثمانية جنيهات الى خمسة عشر جنيهاً وقالت ان الفستان الذي يلبس في

السيرات كان لا يزيد ثمنهُ على ٣٠ جنيهاً مهما بلغ من الاتقان اما الآن فان ثمن القسطان الواحد يتراوح بين ٤٠ جنيهاً ومئة جنيه

وقالت ان سبب هذا الاسراف في بلاد الانكليز كثرة ما دخل في جمعيات القوم هناك من الاميركيات صاحبات الملايين الكثيرة ومن الانكليزيات الحديثات الغنى فان المرأة الاميركية تفوق غيرها من بنات جنسها في الميل الى التزيُّن والملابس الحسنة وتنفق على ذلك اموالاً طائلة ولا يضاهيها في هذا الاسراف الاَّ بعض النساء الخارجات عن الهيئة الاجتماعية في اوربا فان النساء المنتسبات الى البيوت الكريمة هناك يظهرن حقيرات في ملابسهن بالنسبة الى هؤلاء الاميركيات. ومن الاسف ان الازياء لا يبدأ بها نساء الطبقة العالية فانهُ اذا اراد تجار الملابس النسائية واصحاب محلاَّت الازياء في باريس ان يروِّجوا زيًّا جديداً البسوا بعض بنات الهوى هذا الزي وارسلوهنَّ الى ميادين السباق وغيرها من اماكن الملاهي فتراهنَّ السيدات ويقتدين بهنَّ

وقد سألت الكاتبة سيدة لها مقام معروف في الهيئة الاجتماعية عن المقدار الذي كانت تنفقهُ على ملابسها وهي فتاة حديثة الزواج فاجابتها انها كانت تنفق مئة جنيه في السنة اما الآن وهي اكبر سنًّا فهي تنفق الف جنيه ولا يكفيها هذا المبلغ الاَّ بشق النفس واشتغال البال . انتهى

هذا ولا يخفى ان الاوربيين والاميركيين اغنى منا نحن اهل الشرق فمتوسط دخل الانسان عندهم في السنة يبلغ اربعين جنيهاً ولا يقل عن عشرين فالبلاد التي عدد سكانها اثنا عشر مليوناً مثل عدد سكان القطر المصري لا يقل دخلها السنوي عن ٢٤٠ مليوناً من الجنيهات وقد يبلغ ٤٨٠ مليوناً كما ابنا غير مرة واما سكان القطر المصري فلا يبلغ دخلهم السنوي اكثر من ستين مليوناً من الجنيهات فيعذَر عليهم ان يجاروا الاوربيين والاميركيين في الانفاق ولا يقعوا في ضيقة مالية

وفوق ذلك فان النساء اللواتي ينفقنَ النفقات الطائلة على ملابسهنَّ كما تقدَّم اما انهنَّ من الغنيات اللواتي دخل الواحدة منهنَّ او دخل زوجها في السنة يبلغ الوف الجنيهات او من المسرفات اللواتي لا يقدِّرن العواقب ولكن جمهور النساء في اوربا واميركا من المقتصدات في ملابسهنَّ جدًّا والغالب انهنَّ يكسبن ما يقوم بنفقاتهنَّ ويزيد عليها

فلهذه الاسباب يكون اقتفاء نسائنا خطوات الغنيات او المسرفات من النساء الاوربيات غاية في الاسراف المفضي الى الخراب

امرأة فاضلة

حدث في الحرب السبعينية منذ اربعين سنة ان رجلاً اسمهُ فوكلن خرج للحرب هو وابناؤهُ الثلاثة فقتل ابناؤهُ واصيب هو بجرح في معدتهِ منعهُ عن القيام بمعاشهِ ومعاش زوجتهِ واثقلهُ الديون ورهن بيتهُ ثم اصيبت امرأتهُ بالفالج ولم يكن من يعتني بهما سوى خادمة اسمها باتيلد اغات فكانت تكتسب من تربية الدجاج ما تعولهما بهِ وتوفي شيئاً من الدين الذي على الرجل الى ان اوفت الدين كلهُ وهي الآن تخدم الرجل وامرأتهُ وتطعمهما مما تربحهُ من اعمالها

وكان البارون ده منتيون قد اوقف مالاً يعطى ريعهُ لاصحاب الفضيلة من فقراء الفرنسويين ووكل امر توزيع المال الى الاكاذيمية الفرنسوية فلما بلغ مسامع الاعضاء امر هذه المرأة قرروا منحها ثلاثة آلاف فرنك فسافر احدهم الى بلدتها في الشهر الماضي وسلموا المبلغ في حفلة حضرها محافظ البلدة واعضاء مجلسها وجمع غفير من الاهالي

نصائح ادبية

لا توبخ اولادك وخدمك امام الناس بل احفظ كرامتهم امام الآخرين

لا تأتِ باولادك الى المجتمعات ولا تجلسهم على المائدة مع الضيوف ولا تكره الناس على الانتباه لهم والاقبال عليهم

لا تزعج الناس بمباهيك المنزلية واخبار خدمك وما اشبه

لا تغتب الناس ولا تستهزئ بهم ولا تجعلهم عرضة للهزء والسخرية في مزاحك

لا تحقر ما يعملهُ غيرك وتباهَ باعمالك

لا تستهزئ بزميلك في الحرفة او الصنعة ولا تذكرهُ بالسوء فان هذا العمل من اقبح العيوب ومن دلائل الجبن وسوء التربية وليكن عندك من الشجاعة ما يجعلك تحترم مزاياهُ لا ان تحط من كرامتهِ

لا تكن متسرعاً في طلب المساعدة من صديقك في امر من الامور ولو كانت صداقتكما قديمة العهد

لا تكثر الاسئلة على صديقك واذا وجدتهُ مترددًا في الاجابة لا تلحَّ عليهِ فربما كان لهُ عذر في ذلك او ان اسئلتك تؤلمهُ لسبب من الاسباب

لا تكثر من النصيحة لصديقك في امر تدبير بيتهِ وتفقدهِ مثل قولك لهُ انهُ يقدر ان يقتصد بنفقتهِ او يوفر من وقتهِ وما اشبه لانهُ لا يمكنك ان تعرف احوالهُ كما هي تماماً

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً لهممهم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيه على اصحابه فمن يراه مدة كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما ياتي : (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستحار على المطوّلة

المستحضرات الطبية

حضرات منشئي المقتطف

عُنيتْ الجمعية الطبية البريطانية بتحليل كثير من مستحضرات الادوية من حبوب واوراق وفتائل مختومة ووضعت في نتيجة اعمالها كتاباً جليل الفائدة كشفت فيهِ كثيراً من أسرار تلك المستحضرات وازاحت اللثام عن خُبث المشعوذين وحيلهم في استنزاف اموال الأمة وقد كان لهذا التأليف الجليل رنة استحسان في جميع انحاء السلطنة البريطانية فقام الناس من كل صوب على اولئك اللصوص الذين يستدرُّون الرزق من اخبث موارده . وقد وصلت هذه الحركة الى مقاطعة الكاب الانكليزية في جنوبي افريقيا فقُدم استدعاء في وضع مكوس على هذه المستحضرات ولما اجتمعت هيئة الحكومة انتصب سعادة الحاكم العام مريمان وقال : — « ارجوكم بل اتوسل اليكم ان لا تضيعوا شفقتكم على مثل هذه الاشياء . قد جاء الوقت لوضع حد لهذه المبيعات التي تجلب بكثرة الى بلادنا . يوجد بعض حبوب ولا اريد ان اذكر اسمها تباع الطبة منها ونيها ثلاثون حبة بشلنين وتسعة بنسات وجملة ثمن ما فيها من العقاقير يساوي عشر البني (نصف مليم) والناس تتراكض الى شرائها . ويوجد حبوب اخرى تباع بأحد عشر بنساً ثم يعلن عنها بانها تكلف جنيهاً والحقيقة انها لا تكلف شيئاً . ويوجد شراب تباع القنينة منهُ بشلنين ونصف وكل ما فيها لا يكلف ثلث البني . وبعض الادوية من هذه المستحضرات يباع بخمسة جنيهات ولا يكلف اكثر من خمسة بنسات (نحو غرشين) ... هذا والناس اغنياء ومتوسطون وفقراء يقدمون دراهمهم عن طيبة خاطر للحصول عليها فيملأون جيوب لصوص ادنياء . وباليتهم يقنعون على حالتهم الاصلية بل انهم في اكثر الاحيان يزدادون . ولذا اقول ان تحريم هذه الادوية للسرية امر واجب لانها

مضرة . ولو صرف الناس دراهمهم في الرياضة وشرب اللبن الرائب لكان ذلك انفع لهم واوفر .» انتهى كلام سعادة الحاكم . ثم بعث سعادة ناظر الزراعة فقرأ تقريراً عن دواء شاف للسل يُدعى تيبركولوزين "Tuberculozyne" تبيعهُ شركة اميركية بجنيهين فاظهر انهُ عديم النفع اصلاً وان قيمة ما فيهِ من العقاقير بنصف (غرش وربع) لاغير

ثم ان مقادير المواد الطبية في المستحضرات قد تختلف كثيراً فلا تكاد تجد سطرتين متساويتين وهذا يدل على ان اصحاب هذه المستحضرات لا يزنونها ابداً . . قد وُزنت عشر اوراق لرجع الرأس وفيها خمسون في المئة من الاسيتانيليد "Acetanilide" فكان الفرق بين اخفها واثقلها ست قمحات وهي كمية لا يجوز التغاضي عنها لاسيما والاسيتانيليد دواء شديد الوطأة على القلب ولا يكاد الاطباء المصريون يستعملونهُ

ثم اذا كانت هذه احوال المستحضرات الطبية الانكليزية فما قولكم في المستحضرات الفرنساوية والالمانية والاميركية وغيرها وكلها تجلب الى الشرق بكثرة زائدة ولا ترسل المعامل منها الى الخارج الاَّ الأردأ منها وجهلنا يسابقون الى شرائها ويفتخرون بذلك في كل مجلس ولاسيما اذا كان الثمن فاحشاً فيبرهنون بذلك على جهلهم وقصر نظرهم . فاذا احذر الجمهور من استعمال هذه الادوية من دون اشارة طبيب ماهر ولا شك عندي ان الاطباء الماهرين لا يصفون الاَّ ما ثبتت منفعتهُ بالاختبار الطويل

القدس الدكتور الياس حلبي

المجلاَّت العلمية والالقاب

قلما تذكر مجلاتنا وجرائدنا شخصاً الاَّ نعتهُ بمثل قولها العالم العلاَّمة والشاعر المجيد والكاتب المتفنن والقاضي العادل والطبيب النطاسي والباحث المدقق وفيلسوف الاسلام والمجيد والاديب والاستاذ والاديب والوجيه والهمام وغير ذلك من الالقاب وهي كثيرة في لغتنا مما يدل على شدة احتياجنا اليها . واسخف من هذا كلهِ قول بعضهم «حضرة العالم المدقق صاحب التوقيع» او «لذلك الكاتب المعروف صاحب الامضاء» ثم تفتش عن اسم هذا الكاتب الشهير في ذيل المقالة فلا تجد شيئاً او تقرأ حروفاً لا تفهم لها معنىً . ونحن نقرأ المجلات الاوربية فتراها تذكر اشهر العلماء ورجال السياسة والمال باسمائهم والقابهم الرسمية مجردة عن هذه النعوت الفارغة ومجلاتنا نفسها تذكر امثال كوخ وباستور وسبنسر وداروين وهكسلي وروزفلت وكارنجي وارجيل كما يذكرها الافرنج فتقول الاستاذ باستور والمستر

روزفلت ودوق ارجيل وهذا الاخير كان من العلماء المشهورين ومن اعرق الامراء نسباً ولم نسمع جريدة او مجلة قالت فخامة العلاّمة دوق ارجيل او سعادة العالم العامل والجهبذ الكامل والوجيه الفاضل لورد اقبري عين احيان تربة اقبري . وهذا الرجل من قدماء الانكليز وعظمائهم وهو على جانب عظيم من الثروة

وطالما حدثتني النفس ان اقترح على مجلاتنا العلية ان تجتنب هذه النعوت الفارغة التي لا تدل على معنى بعد ان اطلعت على كل احد فرأيت ان اوجه اقتراحي اولاً الى المقتطف لانهُ في مقدمة المجلات العلية ويحسن بهِ ان يكون في مقدمتها في الغاء هذه النعوت . واقترح ما يأتي

اولاً . ان يقتصر على ذكر اسم الشخص كما هو ويضاف اليهِ لقبهُ المعروف رسمياً والذي يكون قد نالهُ من حكومة من الحكومات او مدرسة كلية او جامعة معروفة بهذا الاسم عند الحكومة او يكون من رجال الدين فنقول مثلاً فلان باشا وفلان افندي وفلان بك والاب فلان والشيخ فلان والدكتور فلان والاستاذ فلان واريد بالاستاذ ما يسمّى بروفسور عند الافرنج . وان لم يكن لهُ لقب رسمي فاللقب الذي يعطى لهُ عادةً في الهيئة الاجتماعية مثل خواجه او افندي او سيو او مستر

ثانياً الغاء الالفاظ التي لا تفيد معنًى مثل حضرة وجناب وما اشبه

ثالثاً ان لا تذكر الرتب التي تتقدم الاسم مثل دولتلو وعطوفتلو وسعادتلو الاّ في احوال خصوصية مثل ذكرنا افتتاح جامعة بحضور ناظر المعارف فلا بأس بقولنا سعادة ناظر المعارف

فاذا فعلت المجلات ذلك اراحت نفسها واراحت الكثيرين من قرائها . اما الجرائد السياسية فاني لا اعترض لها

امين المعلوف

[المقتطف] الاقتراح حسن ولكن الجري عليهِ دائماً ليس بالامر السهل لاسيما وان اللقب يغني احياناً عن شرح طويل او يأتي مبيناً لصفة يراد تبيينها مثل قولنا المؤرخ المحقق والشاعر المجيد اما اذا استعملت الالقاب في غير محلها او لم يقصد بها نعت مخصوص او اذا كان الملقَّب اعرف من ان يعرف فالعدول عنها اولى

ومما يذكر في هذا المقام ان بعض الامم الاوربية كالايطاليين والاسبانيين والبرتغاليين يستعملون الالقاب كما نستعملها نحن واما الامم التي سبقتهم في ميدان الحضارة كالانكليز والفرنسويين والالمانيين والاميركيين فقد ابطلتها فاذا ابطلناها نحن ايضاً نكون قد جارينا ارقى امم العصر . وسنحاول العمل باقتراحكم

باب التقريظ والانتقاد

كتاب

مذاهب الاعراب وفلاسفتهم في الجن

رسالة للشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي تبحث في مذاهب الاعراب في الجن ذكر فيها مزاعم الذين قالوا انهم رأوا الغيلان وسمعوا عزيف الجان واورد ما جاء في ذلك من الشعر ثم ذكر قول العرب ان تدمر وامثالها من بناء الجن واقوالهم في الغول والسعلاة والشق والهاتف والناقل واقوال فلاسفة العرب في الجن منهم ابن سينا والفارابي والغزالي والرازي وابن حزم وغيرهم فقد قال ابن سينا : — الجن حيوان هوائي ناطق مشفّ الجرم من شأنه ان يتشكل باشكال مختلفة ثم قال وليس هذا رسمه بل هو معنى اسمه

وقال ابو البقاء في كلياته : — ان هذا بيان لمدلول اللفظ مع قطع النظر عن انطباقه على حقيقة خارجية سواء كان معدوماً في الخارج او موجوداً ولم يعلم وجوده فيه ... وجمهور ارباب الملل المصدقين بالانبياء قد اعترفوا بوجودهم واعترف به جمع عظيم من قدماء الفلاسفة ايضاً

وقال ابو نصر الفارابي : — الجن حي غير ناطق غير مائت

وقال الغزالي في المضمون الكبير : — والجن والشياطين جواهر قائمة مختلفة بالحقائق اختلافاً يكون بين الانواع . وقال في الاحياء ان سبب الخاطر الداعي الى الخير يسمّى ملاكاً وسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمّى شيطاناً . والشيطان عبارة عن خُلُق شأنهُ الوعد بالشر والامر بالفحشاء والتخويف بالفقر عند الهم بالخير

وقال ابن حزم في كلامه عن الجن ووسوسة الشيطان وفعله في المعروف : — لم ندرك بالحواس ولا علمنا وجوب كونهم ولا وجوب امتناع كونهم في العالم ايضاً بضرورة العقل لكن علمنا بضرورة العقل امكان كونهم لان قدرة الله تعالى لا نهاية لها .... وهم اجسام رقاق صافية هوائية لا الوان لهم وعنصرهم النار كما ان عنصرنا التراب

وقال الفخر الرازي : — اطبق الكل على انهُ ليس الجن والشياطين عبارة عن اشخاص جسمانية كثيفة تجيء وتذهب مثل الناس والبهائم بل القول المحصل فيه قولان الاول انها

اجسام هوائية قادرة على اتشكل باشكال مختلفة ولها عقول وافهام وقدرة على اعمال صعبة شاقة . والثاني ان كثيراً من الناس اثبتوا انها موجودات غير متحيزة ولا حالة في التحيز وزعموا انها موجودات مجرّدة عن الجسمية

واسهب الرازي في هذا المعنى وافاد اكثر من كل من تكلم في هذا الباب ومنعود الى كلامهِ وتفسير ما ابهم عليهِ من اقوال السلف

وما احسن ما نقلهُ الحافظ احمد بن حجر في فتح الباري عن البيهقي في مناقب الشافعي قال « سمعت الشافعي يقول من زعم انهُ يرى الجن ابطلنا شهادتهُ الاّ ان يكون نبيًّا »

ولم نرَ كتابًا صغير الحجم حوى ما حواهُ هذا الكتاب من الفوائد الادبية ومذاهب عدد عديد من المتكلمين والفلاسفة والادباء والشعراء والعوام في موضوع يود كل احد ان يقف على ما يقولهُ الثقات فيهِ

فنشكر المؤلف على تحفتهِ هذه ونحث الادباء على مطالعتها لما فيها من اللذة والفائدة

الحمل خارج الرحم

هي رسالة للدكتور محمد عبد الحميد طبيب مستشفى قليوب بحث فيها بحثًا وافيًا في الحمل خارج الرحم واسبابهِ وانواعهِ وسيرهِ والتشريح المرضي فيهِ وعلاماتهِ وتشخيصهِ وعلاجهِ بعد ان تمكن من درس الموضوع في كثير من المؤلفات الانكليزية . وذكر في آخر الرسالة حادثة من هذا القبيل عمل لها العملية وتم بها الشفاء للصابة فنحث الاطباء على مطالعة هذه الرسالة المفيدة ونشكر المؤلف على غيرتهِ

الطريقة القدسية

هي طريقة جديدة للقيودات المزدوجة المعروفة بالدوبيا لواضعها الياس بك قدسي قيس قنصل حكومة البرتغال في دمشق وقد جرى فيها على اسلوب جديد غير الاسلوب المعروف فنشير على التجار وارباب الاعمال بتجربتهِ لعلهم يجدونهُ اسهل من الاسلوب القديم

وقد صدّر المؤلف رسالتهُ بلمحة تاريخية ذكر فيها ان هذا الفن وضع اولاً في ايطاليا في منتصف القرن الرابع عشر وانهُ لم يعرف في سورية قبل سنة ١٨٦٥ لمّا الّف المعلم سليم غالي الدمشقي كتابهُ في حساب الزنجير وتبعهُ في ذلك آخرون منهم ظاهر افندي خيرالله وغيرهُ

الرحلة الحجازية

لما سافر الجناب الخديوي في السنة الماضية لاداء فريضة الحج سار في ركابهِ عدد كبير من اصحاب المناصب ورجال المعية والاعيان ومنهم محمد بك لبيب البتنوني فامرهُ سموهُ بوضع كتاب يصف فيهِ رحلتهُ الى الحجاز . فالَّف في ذلك كتاباً وصف فيهِ الرحلة الخديوية وبلاد الحجاز وصفاً مدققاً فذكر جغرافية البلاد وتاريخها وآثارها ومناسك الحج والمشاعر الدينية ولم يقتصر على ذلك بل ذكر احوال البلاد العمرانية والاجتماعية مما لم يسبقهُ اليهِ احد من كتَّاب العربية . قال في وصف الكعبة ما نصهُ

« واما الكعبة من الداخل فشكلها مربع مشطور الزاوية الشمالية وهي التي على يمين الداخل وبهذه الشطرة باب صغير اسمهُ باب التوبة يؤدي الى سلم صغير يصعد بهِ الى سطحها

« وبوسطها من الداخل ثلاثة اعمدة من العود الفاقلي عليها مقاصير ترتكز على حائط المحراب من جهة وحائط الحجر الاسود من الاخرى . وقطر كل عمود نحو ثلاثين سنتيمتراً وهذه الاعمدة من زمن عبدالله بن الزبير وقيمتها اكبر من ان يقدر لها ثمن (وقد ذُكر انهُ كان فيها على عهدهِ صلى الله عليهِ وسلم ست عمد ولا ادري ان كانت من البناء او من الخشب) ويغطي سقف الكعبة وحوائطها من الداخل كسوة من الحرير الوردي عليها مربعات مكتوب فيها (الله جل جلالهُ) قد اهداها اليها السلطان عبد العزيز رحمهُ الله . وفي قبالة الداخل من الباب محراب النبي عليهِ الصلاة والسلام

« ويحيط ببنائها من الداخل ازار من الرخام المجزع على ارتفاع نحو مترين وقد وضع في الحائط الغربي الواح محفور في الاول منها « بسم الله الرحمن الرحيم امر بتجديد هذا البيت المعظم العبد المفتقر الى رحمة ربهِ يوسف بن عمر ابن علي رسول . اللهم ايدهُ يا كريم بعزيز نصرك واغفر لهُ ذنوبهُ برحمتك يا كريم يا غفار يا رحيم » . ومكتوب حول هذه اللوحة « رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت عليَّ وعلى والديَّ وان أعمل صالحاً ترضاهُ لي . بتاريخ سنة ثمانين وستمائة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آلهِ وصحبهِ وسلم » والى جوارهِ لوحة مكتوب فيها « امر بتجديد سقف البيت الشريف وجميع داخل الحرم وخارجهِ مولانا السلطان ابن السلطان السلطان محمد خان سنة سبعين والف » ثم لوحة اخرى فيها « ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم تقرب الى الله تعالى بتجديد رخام هذا البيت المعظم الشريف العبد الفقير الى الله تعالى السلطان الملك الاشرف ابو النصر برسباي خادم الحرمين الشريفين بلغهُ

الله آماله وزين بالصالحات اعماله بتاريخ سنة ست وعشرين وثمانمائة » . وفي لوحة اخرى « بسم الله الرحمن الرحيم امر بعمارة البيت المعظم الامام الاعظم ابو جعفر المنصور المستنصر بالله امير المؤمنين بلغه الله اقصى آماله وتقبل منه صالح اعماله في شهور سنة تسع وعشرين وثمانمائة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » . ثم لوحة اخرى منقوش فيها « بسم الله الرحمن الرحيم امر بتجديد هذا البيت العتيق المعظم الفقير الى الله سبحانه وتعالى خادم الحرمين الشريفين مؤمن الحجاج في البرين والبحرين خادم الحرمين المحترمين السلطان ابن السلطان السلطان مراد خان ابن السلطان احمد خان ابن السلطان محمد خان خلد الله تعالى ملكه وايد سلطنته في آخر شهر رمضان المبارك المعظم في سلك شهور سنة اربعين بعد الالف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والتحية » . وفي الجدار الشرقي لوح مكتوب فيه « امر بتجديد داخل البيت السلطان الملك ابو النصر قايتباي خلد الله ملكه ياوب العالمين عام اربع وثمانمائة من الهجرة »

وقال في وصف الحرم المدني

« واول من كسا الحجرة الشريفة الخيزران ام هرون الرشيد عند ما قدمت في حجها لزيارة النبي عليه الصلاة والسلام . وصارت من بعدها سنة الملوك والسلاطين . وبين المقصورة المبنية والشبكة النحاسية الخارجة طرقة بمتوسط سعتها نحو ثلاثة امتار من جهاتها الشرقية والغربية والقبلية . وفي زاوية هذه الطرقة من الجنوب كرسي موضوع عليه مصحف شريف كبير اهداه الى الحجرة الشريفة الحجاج بن يوسف الثقفي . ويقولون أنه من المصاحف الستة التي كتبها عثمان بن عفان

« وبنا هذه الطرقة مملوءة بقربات من الذهب والفضة . وخصوصاً في الجهة الجنوبية فيما يقابل الوجه الشريف فان فيها كثيراً من المشاكي الذهبية منها لحدى وثلاثون مرصعة بالماس والزمرد والياقوت . ومعلقة بسلاسل النضار . ومجموع مصابيح الحجرة الشريفة مائة مصباح وستة

« وفي مقابلة الوجه الشريف على جدار المقصورة حجر كبير من الماس البرلانتي يحيط به تركيبة من الذهب المرصع . وهذا الحجر في حجم بيضة الحمام الصغيرة ويقدرون ثمنه في ذاته بثمانمائة الف جنيه اما في شرف نسبته الى الحجرة الشريفة فقيمته اكبر من ان تقدر بثمن ويسمون هذا الحجر بالكوكب الدري لشدة تألقه وعظيم صفائه وبهائه وهذا الكوكب اهداه لحجرة الشريفة السلطان احمد خان الاول ابن السلطان محمد خان من سلاطين آل عثمان

في مبادىء القرن الحادي عشر الهجري. وقد علق فحفظ كتب من الذهب المرصع بالجوهر وفي وسطه حجر الماس اصغر من الكوكب الدري اهداه اليها السلطان مراد الرابع ابن السلطان احمد الاول في سنة الف وسبع واربعين هجرة. وهناك لوح كبير من الذهب منقوش فيه بخط جميل جدًّا بحجارة الماس البرلنتي « لا اله الا الله محمد رسول الله » اهدته اليها صاحبة السمو والعصمة عادلة سلطان بنت السلطان محمود سنة الف ومائتين واحدى وتسعين هجرية

« وفي هذه الحجرة الشريفة غير هذا كثير من الجواهر الفاخرة التي لا تقدر بثمن منها قطعة كبيرة جدًّا على مثال الكردان مكتوب فيها بالماس اسم السيدة « فاطمة الزهراء » وهي موضوعة على مقصورتها الداخلية في الجانب الشرقي. والى جوارها عقد من اللؤلؤ الكبير الحجم لا يماثله شيء في عظمه وجوهره. ويوجد فيها شمعدانات من الذهب الخالص المرصع بالجواهر الكريمة. منها اثنان كبيران طول الواحد منهما نحو مترين. اهداها اليها السلطان عبد المجيد خان في سنة الف ومائتين واربع وسبعين. وشمعدانان اخران أهداهما السلطان محمود. والى جانب هذه الشمعدانات مكانس من اللؤلؤ ومراوح مرصعة بالاحجار الكريمة. وهذا عدا ما يوجد في خزائن الحجرة الشريفة من المصاحف المرصعة والتحف الفاخرة وبالجملة فقد قدروا ثمن ما للحجرة الشريفة من الذخائر بسبعة ملايين من الجنيهات »

وقال في وصف البحر الاحمر

« وترى على سطح مياهه في كثير من جهاته اوراق ذلك النبات المائي الاحمر الذي يسمونه دم الاخوة (الصندم) وله دخل كبير في تلوين المنسوجات بهذا اللون وشكله اشبه شيء بالبشنين في بحيرات مصر. وذلك النبات يوجد بكثرة على شاطىء الخليج العربي وربما كان له تأثير على ما يعيش في جوه من الاصداف الحمراء والاسماك المرجانية التي توجد فيه بكثرة لتغذيتها منه وربما اتت من ذلك تسميته بالبحر الاحمر ». الا ان دم الاخوة او دم الاخوين ويقال له الايدع ودم التنين ودم الثعبان Sang-dragon صمغ يستخرج من شجر ينمو في سوموطرى وغيرها من جزائر المحيط الهندي ولم يسمع انه ينمو في البحر الاحمر ولا هو شبيه بالبشنين. وعلى كل فالنبات الذي رآه ووصفه غير النبات الذي يستخرج منه دم الاخوين ولعله من انواع المرجان التي تظهر كالنبات

وقال في الصفحة العشرين « وغاية ما ذكره مؤرخو الاسلام ان طول سيدنا آدم كان ستين ذراعًا وكان طول حوّاء متناسبًا معه طبعًا ويقرب من قولهم هذا ما ذهب اليه علماء الفرنجة الذين بحثوا في علم الانسان قبل وبعد الطوفان وقارنوا بينه الآن وبين ما عثروا

عليهِ من هياكلهِ في طبقات الصخور . . . . ولقد ذهب المسيو هنريون العضو في المجمع العلمي الفرنسوي والعالم المستشرق الكبير مؤيداً مباحثهُ بالارقام والحجج القوية الى ان طول آدم كان يبلغ ٢٣ قدماً وتسع بوصات وان طول حوّاء كان يبلغ ١٨ قدماً وتسع بوصات وثلاثة ارباع البوصة وهو ما يقرب من اربعين متراً والرأي رأيهُ والعهدة عليهِ » . واستشهد بمادة حواء في دائرة المعارف الفرنسوية . ولم نرَ اشارة الى ذلك في دائرة المعارف بل رأيناها في معجم لاروس . اما الهيا كل البشرية التي يشير اليها فان اقدم ما وجد منها لا يزيد في الطول على متوسط طول الانسان في ايامنا ولم نسمع ان احداً من علماء الانسان قال ان اجدادنا بلغوا الدرجة التي ذكرها من الطول . ولعل كلام هنريون منقول عن العرب او ان لاروس اشار اليهِ على سبيل التهكم

ويظهر لنا ان المؤلف التبس عليهِ امر عيذاب والقصير في عدة مواطن فذكر ان ابن بطوطة سافر من مصر الى القصير والحقيقة انهُ سافر الى عيذاب لا الى القصير . وذكر في مكان آخر ان بطليوس فيلادلفوس « بنى مدينة بيرنيس اي عيذاب » والصواب برنيقة وهي غير عيذاب

وهناك هفوات أخرى طفيفة كقولهِ الرحالة روس Ross والصواب بروس Bruce

هذا ما رأينا ذكرهُ عن هذا الكتاب الجليل الفائدة فنحث الادباء على مطالعتهِ ونشير على كل من يسافر الى الحجاز لاداء فريضة الحج او لغرض آخر ان يستصحب معهُ نسخة منهُ

والكتاب مزيّن بالخرائط الجغرافية والرسوم النظرية والصور الفوتوغرافية المتقنة الصنع وهو مطبوع طبعاً حسناً على ورق جميل

كتاب الهيئة والاسلام

للسيد هبة الدين الشهرستاني

الغرض من تأليف هذا الكتاب كما ذكر مؤلفهُ بيان مخالفة الاسلام لمعظم مباني الهيئة البطلميوسية وموافقتهِ للآراء المنكشفة في الهيئة الجديدة واظهار ان اكثر مقالات الشريعة الاسلامية تخالف آراء الفلاسفة السالفين وتوافق كشفيات المتأخرين وان يكون هذا الكتاب مفسراً لكثير من الآيات المشكلة والروايات المعضلة

فنشكر المؤلف على هذه التحفة الجليلة وعلى تأييدهِ للعلم الصحيح

كتاب سمير الليالي — اهدى الينا الجزء الثاني من كتاب سمير الليالي لمؤلفه محمد افندي امين الصوفي السكري

الانيس — مجلة روائية ادبية تاريخية لصاحبها سليم افندي ابرهيم صادر تصدر في بيروت فنهنئ محبي الروايات على مطالعتها

باب المسائل

فقد هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه وانشانه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا وبعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره مسائلة فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كافر

(١) القطن في طرابلس الغرب

طرابلس الغرب · فالمقام قضاء العزيزية · اريد زرع القطن في طرابلس الغرب وقد جربنا بزر القطن المصري والقطن الاميركاني بصورة سطحية فوجدنا الاخير اصلح في اقليمنا وعليه اطلب منكم اسم المحل الذي تباع فيه انواع بزر القطن

ج · لو كتبتم الى مكتب الزراعة في اميركا (Bureau of Agriculture) في طلب مقدار من بزر القطن او لو كلفتم قنصل اميركا في مدينة طرابلس حتى يكتب اليه لبعث اليكم بما تطلبونه لاجل التجربة · ولا ندري لماذا لم يصلح القطن المصري عندكم فان اقليم طرابلس الغرب اقرب الى اقليم القطر المصري منه الى اقليم البلدان التي يزرع فيها القطن باميركا ورأينا ان تأخذوا من مصر اردبا من بزرة القطن يكون ربعه من العفيفي وربعه من العباسي وربعه من اليتوفتش وربعه من الاشموني وتزرعوا كل ربع منه على حدة فانا نرجح انكم تجدون من هذه الاصناف الاربعة صنفاً يجود عندكم واذا كتبتم الى الجمعية الزراعية الخديوية او الى احد تجار الاسكندرية في طلب اردب اجيب طلبكم وثمن الاردب من جنيه الى جنيهين

(٢) كتب تعلم زراعة القطن

ومنه · هل يوجد كتاب بالعربية او بالافرنسية يعلم كيفية زرع القطن في البلاد الحارة · وهل اشتغال الفلاح المصري باسلوبه المخصوص انفع من التطبيقات الحديثة

ج · لقد كتب كثيرون في زراعة القطن

ولكن لم يكتب احد شيئاً الفضل مما يجري عليهِ الفلاح المصري . وآخر ما رأيناهُ في كيفية زرع القطن وخدمتهِ فصل في كتاب الارشادات للامير الاي ابرهيم بك راجي لكنهُ استعمل فيهِ المصطلحات المصرية وقد لا تكون معلومة عندكم ولذلك سنكتب فصلاً مسهباً في زراعة القطن في الجزء التالي من المقتطف ونضع فيهِ المصطلحات المصرية ونشرحها حتى يفهمها كل قراء العربية . وانشير عليكم ان تستعينوا بفلاح مصري او برجل اختبر زراعة القطن في القطر المصري يذهب اليكم ويجرب زرع القطن عندكم ويعلم الفلاحين كيفية زرعهِ وخدمتهِ الى ان يجني

(٣) كيفية زراعة القطن

ومنهُ . ما هو ابان زرع القطن ومتى يبتدئ جنيهُ ومتى ينتهي وكم مرة يزرع في السنة وكم مرة يسقى في الاسبوع وكيف ينجّى من الامراض التي تعتورهُ في ادوار نموهِ

ج . يزرع مرة واحدة في السنة وهو نبات صيفي يزرع في القطر المصري وما يليهِ من الاقطار في اوائل الربيع اي بعد ما تخف وطأة البرد من اوائل مارس الى اواخر ابريل ولكن لا بدَّ من اعداد الارض لزرعهِ بالحرث ثلاث مرات او اربع مرات حتى يتم ثرابها جيداً ويبتدئ جنيهُ في شهر اكتوبر ولا بدَّ من ان يروى نحو عشر مرات مدة اقامتهِ في الارض فلا يزرع الاَّ في الاراضي التي يمكن ريها صيفاً فاذا كان عندكم ارض جيدة تروى صيفاً بسهولة وهي خالية من الاشجار فالمرجح انها تكون صالحة لزرعهِ . ولا ينتظر ان تزيد غلة الفدان الواحد عندكم (ومساحتهُ ٤٢٠٠ متر مربع) على ثلاثة قناطير يبلغ ثمنها نحو ١٢ ليرة انكليزية الى ١٥ يخرج منها اربع ليرات ثمن التقاوي (البذار) واجرة الحرث والخدمة والجمع فيبقى ٨ ليرات الى ١١ ليرة هذا اذا كانت الارض تروى سيحاً ولم يكن للماء ثمن ولكن اذا كان للماء ثمن او كانت لا بدَّ من رفعهِ بالآلات وجب ان تطرح نفقة ذلك ايضاً . ونظن ان مياه الري قليلة عندكم صيفاً ولا تكفي لري القطن ولا يقع عندكم مطر صيفاً يغني عن ريهِ واذا كان الامر كذلك فزرع الفواكه والخضر اربح لكم من زرع القطن . ولا ربح من زرع القطن الاَّ في بلاد حارَّة فيها انهار غزيرة تروي صيفاً كالقطر المصري او في بلاد حارَّة يقع فيها المطر صيفاً ويرويها كبعض الولايات الاميركية . ولا يخطر على بال احد في ساحل بيروت مثلاً ان يقلع التوت من بستانهِ ويزرعهُ قطناً او ان يزرع القطن بدل القلقاس والباميا والباذنجان لان هذه اربح جدًّا من القطن

(٤) المطاس

اسيوط . نور افندي فانوس . شخص عمرهُ نحو ثلاثين سنة يعطس مراراً كثيرة

كل يوم صيفاً وشتاءً ولو كان الحراء حاراً وقد مضى عليهِ عشر سنوات وهو كذلك فهل من سبيل لشفائهِ من ذلك

ج ٠ لا ضرر من العطاس بل هو فعل طبيعي لتنبيه الاعصاب وقد كان الناس يستعملون السعوط لتهييجهِ ولكن اذا تكرَّر في اوقات معلومة من غير سبب ظاهر دلَّ على تهيج عصبي والغالب انهُ يعالج بتغيير الهواء اما بالانتقال من بلد الى بلد او بالانتقال من جهة الى اخرى في البلد الواحد ويعالج ايضاً بالمسكنات كالافيون والمورفين وبروميد الصوديوم والبوتاسيوم والامونيوم وبوديدها ومقويات الاعصاب وباستنشاق سعوط مصنوع من اليودول والصمغ العربي او فيهِ مورفين اوكوكايين او بزموت ٠ ولا بدَّ من الاعتماد على رأي الطبيب في وصف الدواء والسعوط

(٥) دواء السمن

ومنهُ ٠ ما هو الدواء الذي يسمن بهِ الانسان النحيف

ج ٠ اصل الطعام الكثير والراحة فاذا اكل الانسان فوق الشبع اطعمة كثيرة النشا والسكر والزيت والدهن وقلَّل الحركة سمن الاَّ اذا كان مصاباً بسوء الهضم او بمرض آخر يمنع السمن

(٦) مكتشف ناموس الجاذبية

فراشة- شيخ العرب ابو هاشم علي قريط ٠ مَن هو مكتشف ناموس الجاذبية وما فائدة هذا الاكتشاف

ج ٠ مكتشفهُ اسحق نيوتن وفائدته عملية في معرفة حركات الكواكب واقدارها بالضبط التام وقد افاد في تقدُّم العلوم الطبيعيَّة وما بني عليها من الامور العملية

(٧) سبب حرارة الشمس

ومنهُ ٠ ما هو سبب حرارة الشمس ونورها

ج ٠ المرجح حتى الآن ان سبب حرارتها حدوث التقلُّص المتوالي في جرمها والنور يتبع الحرارة لان الحرارة والنور حركة في دقائق المادة فاذا كانت الحركة لا تزيد على مقدار معلوم في الثانية شعرنا بها حرارة فقط واذا زادت شعرنا بها نوراً ويحتمل ان يكون سبب حرارة الشمس ونورها وجود الراديوم فيها او عناصر اخرى من نوعهِ

(٨) صياح الديك

ومنهُ ٠ ما سبب صياح الديك في اوقات معلومة

ج ٠ صياح الديك نداءٌ ينادي بهِ اناثهُ ليقبلنَ اليهِ وكل الطيور الصادحة تصدح عند الفجر وعند الزوال ينادي ذكورها اناثها قبل ان تصير اهلية فاذا صارت اهلية اعتادت العادات التي يعودها اياها مربوها او تعتادها من الاقامة معهم ٠ والدجاج المعروف اصلهُ البري من غياض الهند وجزائر اسيا على الراجح وديوكهُ شرسة يقتل بعضها بعضاً ويستقلُّ

الغالب منها بالاناث ويصيح عند الغلبة . وعادة تربية الديوك للمقاتلة قديمة جداً كانت معروفة عند الهنود وقدماء اليونان والرومان ولم تزل شائعة الى الآن وكان الامراء يتباهون باقتناء الديوك للقتال وهم يسكنون القصور والقلاع وعندهم الحرّاس يتبادلون الحراسة في اوقات معلومة من الليل فلا يبعد ان يوقظوا الديوك حينئذٍ بندائهم فتستيقظ وتصيح كما تصيح عند الفجر وعند الزوال فصار ذلك عادة لها

(٩) المجرّة في السماء

ومنهُ . ما هي المجرّة البيضاء التي ترى في السماء في الليالي الصافية

ج . في نجوم او شموس كبيرة جداً ترى صغيرة لبعدها الشاسع ويقول علماء الفلك انها العالم الذي شمسنا وارضنا من نجومهِ وان شكل هذا العالم كشكل القرص وهو مؤلف من ملايين كثيرة من الشموس والنجوم ولكنها بعيدة بعضها عن بعض ونظامنا الشمسي قرب مركزهِ فترى الشموس والنجوم كثيرة في منطقة سمولنا كما ان الجالس في مركز القرص اذا التفت الى حرفهِ يرى من الدقائق امامهُ اكثر مما يرى عن يمينهِ وعن يسارهِ

(١٠) العلم بالغيب

جونديامي بالبرازيل . الخواجه بولس الخوري . كان في تربيتنا عيادات شاب نسيب لنا حميد الخصال محبوب من الجميع ولاسيما من المرحوم والدي هاجر الى هذه البلاد وتاجر وربح بعض الربح وقنع بما اعطاهُ الله فكتب الى والدتهِ انهُ عازم على السفر مع اخيهِ المهاجرتين معهُ بعد ثمانية ايام فكان سرور معارفهِ عظيماً وقبل وصول الكتاب بمدة وجيزة كان والدي جالساً فاتاهُ كاهن مشهور بمعرفة الغيب وهيئتهُ تدل على الاضطراب فبادرهُ والدي بالسؤال قائلاً ما بك اجابهُ ان احد اقاربك توفي في المهجر وهو من احب الناس اليك بعد اولادك . ولم تمضِ مدة حتى وصل مكتوب ذلك الشاب وفيهِ انهُ عزم على الرجوع ففرحنا وحسبنا ان نبوّة الكاهن غير صحيحة ثم لم تمضِ مدة أُخرى حتى وصلت اخبارهُ واخبرتنا انهُ مرض يوم ارسال المكتوب وتوفي بعد قليل . فكيف تعللون ذلك والكاهن المشار اليهِ من ابسط الناس

ج . اذا كانت الحادثة صحيحة كما رويتموها تماماً فلا يعلم لها تعليل افضل من تعليل التلبثي اي الشعور عن بعد فان جمهوراً من العلماء يستدل على ان في بعض الناس قوة يدركون بها ما يحدث لغيرهم ولو كانوا بعيدين عنهم بعداً شاسعاً كما ندرك ما يحدث لانسان نراهُ بعيوننا . واذا لم تكن صحيحة كما رويتموها فتعليل رسوخها في ذهنكم على هذه الصورة ان واحداً توهم ان الكاهن انبأ

بموت ذلك الشاب قبل وصول نعيهِ وذكر ذلك امامكم فرسخ في ذهنكم كأنهُ امرٌ واقعي رأيتموهُ وسمعتموهُ . ولهذا امثلة كثيرة رواها العلماء المحققون من ذلك ان امرأة فاضلة شهدت انها رأت في صباها رجلاً قتل آخر ثم تبين ان القتيل قتل قبلها ولدت وتعليل ذلك انها سمعت وصف قتل القاتل للقتيل في صباها فتصورت صورة رسخت في ذهنها وتوهمت بعد ذلك انها رأتها عياناً

(١١) الشعرة في الجفن

لورنس في الولايات المتحدة . جرجي الندي المر . لي ابن عم يبلغ عمرهُ خمسة وعشرون سنة وهو مصاب بشعرة في جفنهِ الاسفل وقد عرض على كثيرين من الاطباء فلم يستفد شيئاً واحرقت الشعرة مرة بالكهربائية فعادت ونبتت مرة ثانية فهل تعرفون طريقة لاستئصالها

ج . الشخص الذي تذكرونهُ مصاب على الغالب بشعرة داخلية اي ان جفنهُ الاسفل منقلب الى الداخل ولا سبيل الى شفائهِ الاَّ بعملية جراحية يد جراح ماهر

(١٢) اسرع الحيوانات

مصر . محمد افندي عمر جنبلاط . ماهو اسرع الحيوانات من ذوات الاربع

ج . المرجح ان الفهد اسرعها كلها اذا كانت المسافة قصيرة فان سرعتهُ تفوق سرعة اسرع الغزلان

(١٣) اسرع الطيور

ومنهُ . ما هو اسرع طائر

ج . يرجح ان الخطاف اسرعها كلها فقد تبلغ سرعتهُ مئتين ميلاً في الساعة

(١٤) تكوين الاصداف

ومنهُ . كيف تبني الحيوانات التي داخل القواقع والاصداف بيوتها

ج . في الماء مادة كلسية (جيرية) ذائبة فيها وترسب بسهولة منها فتوسبها الحيوانات الصدفية حولها بواسطة جلدها لتكوين اصدافها واصلاحها اذا كسرت . ومادة الاصداف من كربونات الكلس ويكون معها قليل من السلكا والمادة الحيوانية

(١٥) التوفيق بين الاضطرار والاختيار

بغداد . الخواجا هارتيون مراديان . سألتنا كم لماذا نلوم القوي الذي يأكل الضعيف مع ان الخالق وضع في الطبيعة ناموس بقاء الانسب فاجبتم اننا نلومهُ لانهُ اضرَّ بغيرهِ . وهنا النقطة الجوهرية لان ناموس الطبيعة الذي من الله يجب ان يكمّل فالقوي مضطر ان يفصل حسب الناموس الطبيعي او حسب ما قدرهُ الله لهُ فكيف نلومهُ وهو مضطر غير مختار

ج . اذا عرَض امران متناقضان امرٌ نعلمهُ علم اليقين ونعلم كل ملابساتهِ وامرٌ لا نعلمهُ علم اليقين او لا نعلم كل ملابساتهِ قبلنا التمسُّك بالامر الاول ومن هذا القبيل الحكم على افعال الناس فاننا نعلم انهم احرار مختارون

مسؤولون عمّا يفعلون ما داموا مستيقظين وفي صحة عقولهم ونعتقد ايضاً انهم مسيَّرون مضطرون حسب النواميس الطبيعية التي وضعها الخالق ولكننا لا نعلم كل نواميس الخلق ولا كيف يمكن التوفيق بين الاضطرار والاختيار فسبيلنا التمسك بما نعلمهُ تماماً

(١٦) عمل البسكوت

ومنهُ · كيف يصنع البسكوت

ج · هو انواع مختلفة تصنع في معامل مخصوصة وفيها لعمل آلات تخل الدقيق وتعجنه وتمرهُ بين اسطوانين فترقهُ بالقدر المطلوب او تزحمهُ من ثقوب مستديرة فيخرج منها قدداً مستديرة او رقيقة ويمرُّ على كل حال تحت قوالب تقطع منهُ قطعاً بالقدر المطلوب تجري على نسج وتقع في صناديق صغيرة تدخل بها الافران وتخبزها · والفرن الواحد يخبز في اليوم نحو الفي ليبرة · والبسكوت اما يصنع من الدقيق والماء فقط او يضاف اليهِ سكر او لبن او زبدة او بيض او هذه المواد كلها او اكثرها وقد يضاف اليهِ ايضاً طيوب تطيب طعمهُ

(١٧) كتب التعليم

ومنهُ · اذكروا لنا كتابين من احسن الكتب الانكليزية في كيفية التعليم

ج · الكتب الانكليزية في فن التعليم كثيرة اشهرها كتاب هربرت سبنسر وكتاب الاستاذ سلي Sally وخطب الاستاذ فتش G. Fitch

(١٨) تموية الشعر

ومنهُ · ولد عمرهُ اربع سنوات وشعر حاجبيهِ قليل جداً كأنهُ طفل عمرهُ شهران فبأي واسطة ينبت شعرها

ج · يقوى الشعر ويزيد نموهُ بحلقهِ ويفركهِ بالزيت او بمادة وهنية تغذيهِ والاستمرار على ذلك مدة طويلة

(١٩) تنظيف الاسنان

ومنهُ · كيف تنزع الصفرة التي تعلو الاسنان بطريقة سهلة

ج · كل السنونات الجيدة تزيلها

(٢٠) لفظة حضر

كفر الطويلة · حامد افندي السيد الطنطاوي · ما معنى لفظة حضرة المستعملة في عناوين الكتب والرسائل

ج · جاء في تاج العروس « قال الجوهري حضرة الرجل قربهُ وفناؤهُ . . . . وكلمتهُ بحضرة فلان وتحضر منهُ اي بشهد منهُ قال شيخنا واصل الحضرة مصدر بمعنى الحضور كما صرحوا بهِ ثم تجوزوا بهِ تجوزاً مشهوراً الى مكان الحضور نفسهِ ويطلق على كل كبير يحضر عندهُ الناس كقول الكتّاب اهل الترسل والانشاء الحضرة العالية تأمر بكذا والمقام ونحوهِ وهو اصطلاح اهل الترسُّل » انتهى · واستعمال الحضرة بهذا المعنى قديم ومثلها الجناب

باب الاخبار العلمية

الحالة الزراعية المالية

ترجح الآن ان موسم القطن سيزيد هذا العام على سبعة ملايين من القناطير فاذا فرضناهُ سبعة ملايين فقط وفرضنا ان تجار القطر المصري يبيعون القنطار بخمس مئة غرش وان هذا الثمن يشمل ثمن القطن والبزرة التي ترسل الى الخارج واجرة الحلج والشحن وربح التاجر والسمسار ورسم الجمرك فلا بد من ان يدخل القطر المصري من ثمن هذا الموسم اكثر من ٣٥ مليوناً من الجنيهات اما السنة التي تنتهي الآن وهي سنة ١٩١٠ فالمرجح ان الصادر فيها من موسم هذا العام لا يقل عن ثلاثة ملايين ونصف مليون بالة وقد صدر فيها من موسم العام السابق مليونان ونصف مليون والجملة ستة ملايين بالة فلا يقلُّ ثمنها وثمن بزرتها عن ٣٠ مليوناً يضاف الى ذلك مليونا جنيه على الاقل ثمن صائر الصادرات فتكون قيمة الصادرات كلها ٣٢ مليون جنيه على الاقل

قيمة مواسم القطن المصري

جاء في مذكرة المستشار المالي لتقدير الثمن الذي بيع به القطن المصري في المواسم العشر السابقة لموسمنا الحالي وهو هذا

موسم	١٩٠٠ — ١	١٦٠٥٠٠٠٠
"	١٩٠١ — ٢	١٧٧٢٣٠٠٠
"	١٩٠٢ — ٣	٢١٣٣٤٠٠٠
"	١٩٠٣ — ٤	٢٣٨١٢٠٠٠
"	١٩٠٤ — ٥	٢١٢١٠٠٠٠
"	١٩٠٥ — ٦	٢٤٥٨٦٠٠٠
"	١٩٠٦ — ٧	٣٠٠٦٥٠٠٠
"	١٩٠٧ — ٨	٣٠١١٧٠٠٠
"	١٩٠٨ — ٩	٢٤٥٩٠٠٠٠
"	١٩٠٩ — ١٠	٢٦٤٧٠٠٠٠

وقال ان الموسم الحاضر سيزيد على ستة ملايين وثلاثة ارباع المليون من القناطير ويفوق ثمنهُ ثمن كل موسم من المواسم الحديثة

النحل وانواع الزهر

ذهب بعض العلماء الى ان الازهار تلونت بالوان مختلفة لكي يميزها النحل وغيرهُ من الحشرات بعضها من بعض وينقل الفلاح من زهرة الى أخرى في النوع الواحد من النبات ولا ينقلهُ الى نوع آخر. وذهب غيرهم الى ان النحل لا يستطيع التمييز بين

الالوان المختلفة لكن احد العلماء جرّب الآن تجارب كثيرة ثبت لهُ منها ان النحل يميز الالوان سواء كانت طبيعية او صناعية

بعض عناصر الغذاء

اخذت ادارة الزراعة في الولايات المتحدة الاميركية تجرب التجارب المختلفة لمعرفة ما يحتاج اليهِ جسم الانسان من عناصر الغذاء وقد وجدت انهُ يحتاج الى غرام ونصف غرام من الفصفور في اليوم وهي بمثابة ثلاثة غرامات ونصف من الحامض الفصفوريك . ومركبات الفصفور الآلية اصلح لهُ من غيرها . ويحتاج الى سبعة اعشار الغرام من اكسيد الكلسيوم

البحث الزراعي العلمي في اليابان

بينا نرى الباحثين في هذا القطر من الاوربيين فقط نراهم في بلاد اليابان من اليابانيين انفسهم مع اننا اقدمنا باوربا قبلهم وتعلمنا من الاوربيين قبلهم . ففي جريدة مدرسة الزراعة في اليابان ثلاث مقالات تبحث في دود القز الواحدة لعالم اسمهُ توياما يبحث عن الدود الاحمر الذي يظهر احياناً مع دود القز الاسود فوجد ان اللون الاسود هو الغالب وان الاحمر يتولد حسب ناموس مندل فقد زاوج بين الاسود والاحمر فتولد معهُ ثلاث دودات سوداء لكل دودة حمراء . وبحث الاستاذ كاساكي في اليرقان الذي يصيب دود القز فيضعفهُ ويميتهُ وهو مثل ما يسمى عندنا بالقياح فوجد سببهُ نوعاً من الميكروب في دم الدود المصاب . وبحث عن كيف تصنع الخيوط التي تستعمل للصيد ويؤتى بها من الصين فوجد ان الصينيين يجدون دوداً بريًّا من دود القز على شجر الكافور فيغطسونهُ في الخل و يستخرجون من الدودة خيطاً طولهُ سبع الذام الى ثمانية . وذهب الى حيث يوجد هذا الدود وتحقق ما قيل عنهُ

هبات علمية

جاء في اخبار روتران المستر كفلر وهب جامعة شيكاغو مليوني جنيه فصار جملة ما وهبهُ لهذه الجامعة سبعة ملايين من الجنيهات

وجاء في اخبار جنوب افريقية ان شركة دي بيرس وهبت ٢٥٠٠٠ جنيه لبناء جامعة في جنوب افريقية

وذكرت مجلة العلم الاميركية ان شخصاً ابقى اسمهُ مكتوماً ارسل الى جامعة يايل بامبركا ٣٠٠٠٠ جنيه وان آخر اوصى لها بعشرة آلاف جنيه وآخر باربعة آلاف

واوصى المستر توماس لبتن وهو غير السر توماس لبتن بعشرة آلاف جنيه للمعهد الملكي في بلاد الانكليز

ووهب المستر جس بتن اربعين الف

جنيه للجامعة الشمالية الغربية باميركا لاجل التجارب الباثولوجية

ووهب المستشار ويهل اكاديمية العلوم في براغ كل ما يملكهُ وهو نحو ٢٠٠٠٠٠ جنيه لاجل تنشيط المباحث العلمية والصناعية

برج ايفل والوقت

استعمل برج ايفل للاشارة بالوقت الى السفن التي في الاوقيانوس بواسطة التلغراف اللاسلكي وكان الابتداء بذلك في ٢١ نوفمبر وكانت النتيجة مرضية جدًّا

تفتت حجارة البناء

لا يخفى ان حجارة البناء كثيراً ما تتفتت وتتدثر وكان المظنون ذلك ناتج عن فعل الاملاح والهواء بها وانهُ فعل كيماوي محض ولكن الدكتور تيست اندرسن اثبت ان دثور الحجارة ناتج عن فعل بعض البكروبات وانهُ يمكن وقاية الحجارة بدهنها بمادة تميت هذه البكروبات مثل مذوب الشب الازرق (٥ في المئة) والسليماني والكريوسوت

السم في نبات الذرة

يعلم الفلاَّحون في هذا القطر ان نبات الذرة يكون سمًّا ميتًا عند اول ظهوره حتى اذا رعتهُ المواشي حينئذٍ اماتها. وقد يظهر هذا الامر غريبًا ولكنهُ حقيقة مقررة وقد وُجد ان المادَّة السامَّة التي في اوراق الذرة هي الحامض الهيدروسيانيك الذي يكون في بزر اللوز المر فاذا كبرت الذرة قلَّت المادَّة السامَّة في اوراقها الى ان تزول ولكن اذا كانت ارض الذرة جافَّة بقيت المادَّة السامَّة كثيرة فيها ولو كبرت

النبات والنور

لا يخفى ان النباتات تتجه نحو الشمس او نحو نورها فاذا زرعت في مكان مظلم يأتيهِ النور من كوة الى اليمين او الى اليسار او الى اي جهة اخرى اتجهت تلك النباتات الى الكوة حيثما كانت. ولا فرق بين ان يكون النور نور الشمس او نوراً غيرهُ كالنور الكهربائي او النور المستطير المنتشر في الهواء ولكن النور الساطع يحرف النبات اليهِ ولو كانت مدتهُ قصيرة جدًّا. والظاهر ان اوراق النبات هي التي تشعر بالنور وزنودها هي التي تتحرَّك كأن النقط الصغيرة الشفافة التي في ادمة الورقة بمثابة العدسيات او العيون التي تجمع اشعة النور وتلقيها على ما تحتها من الحويصلات الخضراء

وقد ابان بعضهم منذ سنة ١٨٨٢ ان بعض النباتات البحرية يتأثر بالنور الضعيف ويتجه اليهِ ولا يتأثر بالنور الساطع ولا يتجه اليهِ. ثم ثبت ذلك في فطر العفن ايضاً فاذا وُضع نبات العفن على ثمانين سنتيمتراً

من قنديل كهربائي ساطع النور اتجه اليهِ واذا وضع على عشرين سنتمتراً فقط منهُ انحرف عنهُ واذا وضع بين بين بقي منتصباً لا يتجه اليهِ ولا عنهُ . وقد ابان بعضهم في العام الماضي ان ذلك يصدق ايضاً على جذور الفجل والخردل عند اول ظهورهما وكان المعروف ان جذورهما تنحرف عن النور دائماً لكن ثبت الآن انها تبعد عن النور الساطع وتقترب من النور الضئيل ولعلَّ ذلك يشمل جذور كل النباتات

تحويل سد النيل الى وقود

طير الينا روتر منذ ايام نبأ من اعظم الانباء التي تهم محبي الحضارة والعمران عموماً وسكان مصر والسودان منهم خصوصاً وهو نجاح الدكتورين فون رات وهورنج الالمانيين في تحويل سد النيل الاعلى الى وقود يغني اهل السودان عن الفحم الحجري فلا يخفى ان السد عبارة عن النباتات والاعشاب التي تنمو وتكبر وتتلفُ في النيل الاعلى حتى تسد مجراهُ وتقف فيهِ كالسد فتصد المياه عن الجري فيهِ وتمنع الملاحة ايضاً لعجز اقوى البواخر النيلية عن اختراقهِ ولذلك تنفق حكومة السودان مالاً طائلاً على قطعهِ وفتح منفذ للسفن من حين الى حين . ومعلوم ان اعظم عائق للسودان عن التقدم في الحضارة والعمران هو غلاء الفحم الحجري فيهِ . فقد بحثوا كثيراً عن الفحم الحجري في اراضيهِ الواسعة فلم يقفوا لهُ على اثر حتى الآن ونقل الفحم من بلاد الانكليز الى السودان يقتضي نفقة كبيرة وقطع الحطب من حراجهِ لايفي الاَّ ببعض الغاية فلا يغني عن الفحم الحجري لصعوبة نقل المقادير اللازمة منهُ ولصلابة حطب اكثر انواع الشجر هناك وصعوبة قطعها فلذلك وجهت حكومة السودان عنايتها الى الانتفاع بنبات السد بعد جفافهِ . وقضى المجربون زمناً وهم يجربون حتى اهتدى ذانك العالمان الالمانيان الى ضغط هذا النبات ضغطاً شديداً بالضاغطات القوية وتحويلهِ الى اقراص متماسكة الاجزاء كاقراص دق الفحم واوقد احدهما هذه الاقراص بكثرة في معمل من المعامل الالمانية فجاءت طبق المرام

بقي الآن ان نعلم كم تبلغ نفقة هذا الوقود المصنوع من نبات السد المضغوط فاذا تبين ان النفقة غير عظيمة وانهُ يتيسر لحكومة السودان تحويل السد الى وقود رخيص الثمن انحلت معضلة الوقود في السودان وانفتح امام مصلحيهِ ومعدنيهِ باب واسع لترقية الملاحة فيهِ ومد السكك الحديدية الكثيرة في جهاتهِ ونواحيهِ وتوسيع نطاق الزراعة والتجارة والصناعة وكل ما يتوقف على النار وقوة البخار وتمدين اقطار افريقية الاستوائية بعد ما خيم التوحش عليها طول عهد الانسان بها

فهرس الجزء الاول من المجلد الثامن والثلاثين

١ مقياس العقول
٥ علاج الامتاذ ارنج
٩ البلدان العربية . للاستاذ جبر ضومط . (مصوّرة)
١٦ حقوق الام . لسامي افندي الجريديني المحامي
٢٠ المآخذ الشعرية . لعيسى افندي اسكندر المعلوف
٢٣ بين الوطنية والسياسة . لفؤاد افندي الخطيب
٢٥ رحلة بارتيا الى الحجاز واليمن والهند
٣٠ الفصاحة وكتّاب العصر . للاستاذ سعيد الخوري الشرتوني
٣٢ اللغة العربية والطب . للدكتور محمد عبد الحميد
٣٣ معجم الحيوان . للدكتور امين المعلوف . (مصوّرة)
٤٠ نبأ من اليابان
٤٧ التشيّع . للامير شكيب ارسلان
٥٢ منشأ الانسان الاول
٥٥ الميزانيتان العثمانية والمصرية
٦٤ أظواهر نفسية أم خداع
٦٧ احياء الآداب العربية

---

٧٦ باب الزراعة * تسميد القطن . غصب الارض وحصول القطن . الزيت والزيتون . العنب السوري
٨٢ باب تدبير المنزل * انفاق النساء على ملابسهنّ . امرأة فاسلة . نصائح ادبية
٨٥ باب المراسلة والمناظرة * المخترعات الحالية . انحلالات السلطة والانقلاب
٨٨ باب التقريظ والانتقاد * كتاب مذاهب الاخراب وتلاعبهم في المجن . الحمل خارج الرحم . الطريقة القدسية . الرحلة الحجازية . كتاب الجنة والاسلام . كتاب سمير الليالي . الانيس
٩٤ باب المسائل * وفيه ٣٠ مسألة
١٠٠ باب الاخبار العلمية * وفيه ١١ نبذة

صورته قبيل وفاته

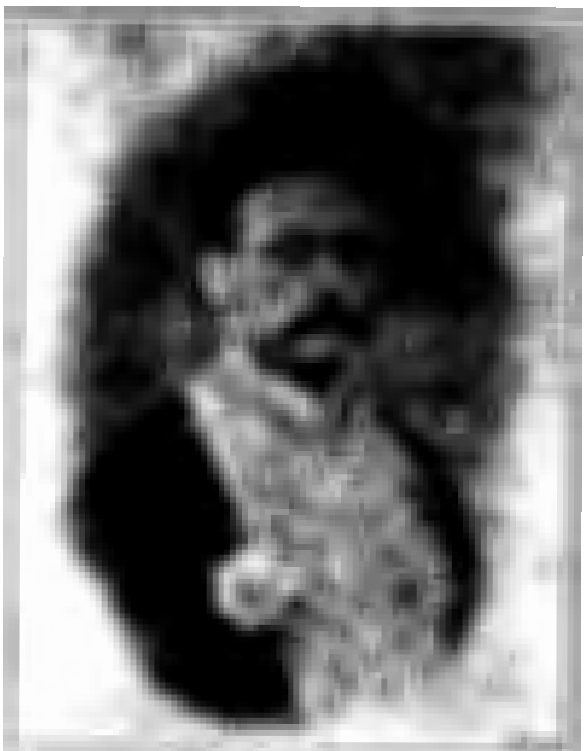

صورته منذ ثلاثين سنة